



الاختلاف والحوار والتعايش (٧)



دليل تنمية القدرة على تدبير الاختلاف

التأطير النظري والتطبيقات العملية

د. خالد الصمدي

nama-center.com



الاختلاف والحوار والتعايش (٧)

المؤلف:

د. خالد الصمدي

- رئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية.
- الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد بن عبد الله بفاس.
- الدبلوم العالي في التربية من المدرسة العليا للأساتذة بمراكش.
- أستاذ التعليم العالي، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان.
- رئيس المنتدى الوطني للتعليم العالي والبحث العلمي.
- المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في المغرب.
- منسق الفريق المركزي لتقويم وتطوير مناهج مادة التربية الإسلامية بوزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي بالمغرب.
- مستشار المكتب التنفيذي للهيئة العلمية العليا لشعب الدراسات الإسلامية بالجامعات المغربية.

من إسهاماته البحثية:

- «أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي» بالمشاركة.
- تكامل المعرفة والقيم في بناء المناهج التعليمية: مقاربة نظرية ومشاريع تطبيقية.

البريد الإليكتروني:

samadikh@yahoo.fr



لماذا هذا الكتـاب ؟

يعرف عالمنا اليوم تقاربًا غير مسبوق بين الثقافات والحضارات، واحتكاكا مكثفا بين الأجناس والأعراق والديانات، مما تبرز معه الاختلافات والتناقضات الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي تتفجر أحيانا في شكل صراعات حادة، وأحيانا أخرى تكشف عن خبرات ومؤهلات وإمكانات هائلة للتقارب والحوار والتعايش.

ولئن كان الاختلاف سنة كونية لا محيد عنها، فإن عالمنا اليوم يحتاج إلى فكر يستوعب هذه السنة الكونية، ويسعى إلى الاستفادة مما يتيحه التنوع في الطاقات والقدرات والأفكار والآراء والتوجهات والاختيارات في بناء الحضارة المشتركة، والتخفيف من حدة الصراعات والخلافات التي تضعف الذات الإنسانية برمتها، لأن العالم اليوم انتقل من مرحلة بناء الحضارات المختلفة المتعاقبة إلى بناء الحضارة الواحدة المشتركة التي تجمع في داخلها تنوعا واختلافا، مما يعني أن الإيمان باستمرار الحضارة الإنسانية قائم بالضرورة على قدرتها على تدبير هذا التنوع من خلال ترسيخ ثقافة تدبير الاختلاف.

يساعد هذا الدليل التدريبي لتنمية القدرة على تدبير الاختلاف، الصادر عن مركز نماء، بما يحمله من إطار نظري وتطبيقات عملية، على الانخراط في رسالة ومسيرة ترسيخ ثقافة الحوار والتعايش، وذلك من خلال استعمال المادة العلمية التي اجتهد المؤلف في ترتيبها بغية المساهمة في التخطيط والتنظيم لمختلف الدورات التدريبية التي تستهدف التربية على هذه القيم الإسلامية العظيمة، ونفي ما يناقضها من قيم الصراع والتعصب والانغلاق.

الثمن: ٥ دولار
أو ما يعادلها

ISBN 978-614-431-708-2

9 786144 317082

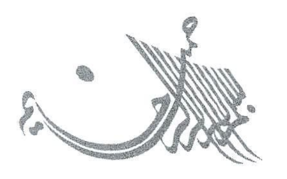


مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

info@nama-center.com

دليل تنمية القدرة على

تدبير الاختلاف



الاختلاف والحوار والتعايش (٧)

دليل تنمية القدرة على
تدبير الاختلاف

التأطير النظري والتطبيقات العملية

د. خالد الصمدي

مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

دليل تنمية القدرة على تدبير الاختلاف
(التأطير النظري والتطبيقات العملية)
د. خالد الصمدي / كاتب من المغرب

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٧م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز نماء».

مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

بيروت – لبنان
هاتف: ٩٦١٧١٢٤٧٩٤٧

E-mail: info@nama-center.com

الفهرسة أثناء النشر – إعداد مركز نماء للبحوث والدراسات
الصمدي/ خالد
دليل تنمية القدرة على تدبير الاختلاف (التأطير النظري، والتطبيقات العملية)، د.خالد الصمدي
١٤٤ ص، (الاختلاف والحوار والتعايش؛ ٧)
٢١,٥×١٤,٥ سم
بيبليوغرافيا ١٣٣ – ١٣٧
١. تنمية القدرات. ٢. الاختلاف. أ. العنوان. ب. السلسلة.

ISBN: 978-614-431-708-2



كلماتٌ ...

لَطالـما كتبنـا عـن الاختلاف، وتحدَّثنا عن أهمية حُسـن تدبيره، ولكنَّ الفجوات تزداد، وعـوامل الاختـلاف غير الطبيـعي تتجذر وتتسع، في عالـم يزداد أهله احتكاكًا وتقاربًا.

لأنَّنا بكل بساطة لـم نُعلِّم أجيالنا ممارسة قيم ومهـارات تدبير الاختلاف، وتلك مهمة التربيـة والتدريب، وهذا الكتاب خطوة في هذا الاتجاه ...

ممهدات


ممهدات

لماذا الدليل ؟

يعرف عالمنا اليوم تقاربًا غير مسبوق بين الثقافات والحضارات، واحتكاكًا مُكثّفًا بين الأجناس والأعراق والديانات، ممّا تبرز معه الاختلافات والتناقضات الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي تتفجر أحيانًا في شكل صراعات حادة، وأحيانًا أخرى تكشف عن خبرات ومؤهلات وإمكانات هائلة للتقارب والحوار والتعايش، ولئن كان الاختلاف سنة كونية لا محيد عنها لقوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] ، وقوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ۝٢٢﴾ [الروم]؛ فإنَّ عالمنا اليوم يحتاج إلى فكر يستوعب هذه السنة الكونية، ويسعى إلى الاستفادة ممًّا يتيحه التنوع في الطاقات والقدرات والأفكار والآراء والتوجهات والاختيارات في بناء الحضارة المشتركة، والتخفيف من حدة الصراعات والخلافات التي تضعف الذات الإنسانية برمتها، لأن العالم اليوم انتقل من مرحلة بناء الحضارات المختلفة المتعاقبة إلى بناء الحضارة الواحدة المشتركة التي تجمع في داخلها تنوعًا واختلافًا، ممًّا يعني أن الإيمان باستمرار الحضارة الإنسانية قائم بالضرورة على قدرتها على تدبير هذا التنوع من خلال ترسيخ ثقافة تدبير الاختلاف.

وفي هذا الإطار يجد شبابنا اليوم نفسه معنيًا بقيادة حركة التنمية في سياق تشكل هذه الحضارة المشتركة في عصر العولمة بما تحمله من تطورات هائلة في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وتحول عميق يتجاوز عالم الأفكار إلى عمق منظومة القيم التي تشكل جوهر الإنسان، ممّا تبرز معه حاجته الماسة إلى التربية على قيم ومهارات تدبير الاختلاف، ولن يتم ذلك إلا من خلال

التوعية بأهمية توسيع مساحة المشترك من خلال إطار نظري عميق المحتوى متأصل في المصادر الإسلامية، والتدريب الميداني من خلال تطبيقات عملية تنمي مهارات تدبير الاختلاف وترسخ قيمه المتجذرة في مصادر الوحي، وفي صور مضيئة من تاريخنا وحضارتنا الإسلامية.

ونقدم اليوم للقارئ الكريم، وللمربي الحكيم، وللمدرس الحفيظ العليم، هذا الدليل التدريبي لتنمية القدرة على تدبير الاختلاف، بما يحمله من إطار نظري وتطبيقات عملية، تساعده على الانخراط في رسالة ومسيرة ترسيخ ثقافة الحوار والتعايش، وذلك من خلال استعمال هذه المادة العلمية في تخطيط وتنظيم مختلف الدورات التدريبية التي تستهدف التربية على هذه القيم الإسلامية العظيمة، ونفي ما يناقضها من قيم الصراع والتعصب والانغلاق.

الفئة المستهدفة بالدليل:

لا يخفى ما للطبقة المثقفة برمتها من أهمية في قيادة حركة التغيير الثقافي والاجتماعي، فإذا آمنت هذه الطبقة بقيم التعايش والتساكن والحوار، وكانت قادرة على تدبير الاختلاف في بناء ونشر مواقفها وآرائها وتصوراتها واجتهاداتها في المحيط؛ فإن ذلك سيشكل الإطار الخصب لنقل هذه الخبرة والتجربة إلى جيل الشباب من خلال صياغة خطاب يروج لهذه القيم ويعمل على نشرها، إلا أن الخطاب النظري لا يكفي لإحداث التغيير المطلوب في تصورات هذا الجيل وأفكاره، ومن ثم في تمثلاته وسلوكاته، فتدبير الاختلاف بالإضافة إلى كونه معارف وتصورات تبنى في ذهن المتلقي، فهو أيضًا مهارات تمارس بالتدريب، وقيم موجهة تكتسب بالتربية، ومن ثم كان لا بد أن يسند الخطاب النظري بتداريب عملية ميدانية على مهارات وآليات تدبير

الاختلاف في علاقات الشباب الفكرية والثقافية والاجتماعية، ومعايشة من يتمتعون بالقدرة على تدبير الاختلاف لاكتساب قيمه وأخلاقياته، فذاك هو السبيل الوحيد كي تصبح القدرة على تدبير الاختلاف كفاية عامة، وثقافة وقناعة سائدة في العلاقات الفكرية والاجتماعية.

لذلك يمكننا أن نقول إن هذا الدليل موجه إلى القيادات الفكرية والثقافية المؤثرة من واضعي البرامج والمناهج التعليمية، ومؤلفي الكتب المدرسية، والمدرسين في مختلف مراحل التعليم من الابتدائي إلى العالي، والقائمين على برامج التوعية الدينية والثقافية في وسائل الإعلام، والمشتغلين في مؤسسات المجتمع المدني من جمعيات ومنظمات وطنية ودولية، كما أنه موجه أيضًا إلى فئة الشباب المتحرك في كل هذه الفضاءات التربوية والتعليمية والجمعوية للاسترشاد به في إطار سياسة التثقيف بالنظير وتبادل التجارب والخبرات.

منهجية تأليف الدليل وكيفية الاستفادة منه:

يختلف هذا الكتاب عن غيره من الكتابات التي تتحدث عن تدبير الاختلاف سواء كانت مؤلفات تبرز تأصيل هذه القيمة في القرآن والسنة على وجه التفصيل، أو كتابات تبرز أهمية هذه القيمة في التاريخ والحضارة الإسلامية، أو تبين مكانتها في كتابات العلماء من فقهاء ومحدثين ومفسرين وغيرهم، أو تحدد أسبابها في كل مجال من مجالات المعرفة الإسلامية.

ذلك لأنه يأخذ من كل ما سبق زبدته من خلال نماذج وأمثلة تكفي المقتصد، وتحفز المجتهد لمزيد من البحث التفصيلي في هذه الكتابات النظرية الهامة، ويعرض لها باختصار في السياق النظري، ليركز على زوايا جديدة تتعلق

بطبيعة المفهوم وعلاقته بمنظومة القيم التي يدور في فلكها، والفوائد العلمية والتربوية المكتسبة من ترسيخ هذه القيم الناتجة عن حسن تدبير الاختلاف في حياتنا المعاصرة، ثم بيان الطرق العملية للتربية على قيم ومهارات تدبير الاختلاف من خلال تصميم وتنفيذ دورات تدريبية.

ممَّا يجعل المتدرب - بعد المرور بتجربة التدريب باستعمال هذا الدليل- مؤهلًا للمشاركة في ترسيخ المفهوم الصحيح لتدبير الاختلاف والقيم المرتبطة به في محيطه الاجتماعي والثقافي، وهي القيمة المضافة التي يحملها هذا الدليل.

لذلك يطلب من المشتركين في التدريب القراءة المتمعنة للإطار النظري قبل الدورة التدريبية من أجل الإسهام في المناقشة والحوار أثناء العروض النظرية المؤطرة للدورة، ثم استيعاب النموذج التطبيقي المنجز، قبل أن يسترشد بكل ما سبق في إنجاز النشاط التطبيقي المرتبط به سواء عن طريق العمل الفردي أو العمل في مجموعات، قبل أن تعرض نتائج الأشغال للمناقشة والتقويم.

توصيف للمحاور الكبرى التي يتضمنها الدليل:

يتضمن هذا الدليل كما أسلفنا قسمًا نظريًا وآخر عمليًا تطبيقيًا يتضمَّن كلٌّ منهما فصولًا نعرض لمحتواها على وجه الإجمال في تقديم هذا الدليل.

منهجية الإطار النظري:

ليس القصد من هذا الإطار النظري بسط الحديث عن تجليات الاختلاف في ثقافتنا وحضارتنا الإسلامية وتحديد أسبابه وكيفية تدبيره من طرف علماء

الأمة ومفكريها، فذاك ما سنكتفي منه بالإشارة عند الاقتضاء، وإنّما سنركز في الإطار النظري على قضايا مركزية ثلاثة انسجامًا مع الطابع التربوي للدليل، وهي:

- **الجانب المعرفي** المتعلق بمفهوم الاختلاف والحكمة منه ومجالاته، ووضعه في سياق خريطة المفاهيم التي يتحرك فيها من أجل تكوين رؤية واضحة لدى المتلقي عن هذا المفهوم وتصحيح بعض التشوهات التي تحيط به، كل ذلك استنادًا إلى مصادر الوحي، ومقاصد الشريعة الإسلامية.

- **الجانب القيمي** المتعلق بمنظومة القيم الحاكمة التي ينبغي ترسيخها في المجتمع ضمانًا لاستمرار حسن تدبير الاختلاف، وما يناقضها من التصورات والسلوكات التي تبرز عند الفشل في تدبيره، مع الحديث عن طرق ووسائل نشر هذه القيم في محيطنا الثقافي والاجتماعي.

- **الجانب المهاري** المتعلق بقواعد وآليات ومهارات تدبير الاختلاف وفوائدها، ومكاسبها في حياتنا، وما ينتج عن غيابها من سلبيات ثقافية واجتماعية. وذلك بالاستناد إلى التوجيهات الإسلامية في هذا المجال، والاستدلال بالنماذج العملية في الثقافة والحضارة الإسلامية، وكذا الكتابات الحديثة في مجال التواصل الناجح[1].

---

(١) انظر على سبيل المثال: كتاب «أمسك عليك هذا - مقدمات وعشر قواعد في فنون التعامل مع الآخرين»، للدكتور علي الحمادي، إصدار مركز التفكير الإبداعي، الطبعة الثالثة، (سنة ٢٠٠٠ م).

منهجية الإطار التطبيقي:

- أما الشق التطبيقي: فهو عبارة عن بطاقات تأطيرية لدورات تدريبية في ستة محاور يشكل كل واحد منها دورة تدريبية مستقله في سياق متكامل مع المحاور الأخرى وتتحد هذه المحاور الستة في:

- التدريب على اكتشاف واكتساب المفهوم وبناء قيمه ومهاراته في مصفوفة ناظمة.
- التدريب على اكتساب منهجية تدبير الاختلاف.
- التدريب على تجاوز صعوبات تدبير الاختلاف.
- التدريب على تقويم القدرة على تدبير الاختلاف.
- التدريب على الإسهام في التوعية بأهمية حسن تدبير الاختلاف.
- التدريب على كيفية تصميم دورة تدريبية كاملة على مهارات وقيم تدبير الاختلاف.

ويتوقع من المستفيد من الدورات التدريبية أن:

- يتعرف مفهوم تدبير الاختلاف وأهميته في سلوك الأفراد والجماعات.
- يمتلك آليات تدبير الاختلاف ويطبقها في سلوكاته الثقافية والاجتماعية.
- يسهم في نشر ثقافة تدبير الاختلاف في محيطه انطلاقًا من ثقافته الإسلامية، ومهاراته التطبيقية المكتسبة.




الإطار النظري

يتوقع من المتدرب بعد قراءة واستيعاب هذه المادة النظرية أن يكون:

- عارفًا بمفهوم الاختلاف من خلال نصوص ومواقف مرجعية.

- عارفًا بقيم تدبير الاختلاف وتجلياتها في المرجعية الإسلامية.

- عارفًا بمهارات التواصل الناجح وأثرها في حسن تدبير الاختلاف.

- مُدركًا أهمية هذه المعارف والمهارات والقيم في اكتساب القدرة على تدبير الاختلاف.

- مُمتلكًا لرصيد مهم من النصوص الإسلامية المتعلقة بتدبير الاختلاف.

(أ) في مفهوم الاختلاف:

إذا كانت القاعدة تقول: «إنَّ الحكم على الشيء فرع عن تصوره»؛ فإنَّنا سنبسط الكلام في هذا المقام عن مفهوم الاختلاف والحكمة منه ومجالاته وعلاقاته الترابطية مع المفاهيم التي تشترك معه في خريطته المعرفية، وذلك من أجل تكوين رؤية واضحة عن هذا المفهوم، وتصحيح بعض التشوهات التي تعتريه، كل ذلك استنادًا إلى مصادر الوحي، ومقاصد الشريعة الإسلامية، فنقول وبالله التوفيق: من الكلام السائر المشهور على الألسنة أن الاختلاف محمود والخلاف مذموم، ولم تسعفنا المعاجم ونحن ننجز معجمًا عن المصطلح التربوي في القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي[1] في إيجاد مستند علمي مقبول لهذا الرأي، والظاهر من تعريفات ابن منظور في اللسان[2]، والراغب في المفردات[3]، والفيروزآبادي في القاموس[4] أنَّهما سيان يستعمل أحدهما في موضع الآخر.

ولكننا بالرجوع إلى القرآن الكريم ونحن نتلمس المعاني التي استخدم بها هذا المصطلح (الاختلاف) وجدناها على ضربين:

---

(١) انظر الجزء المنشور من المشروع بعنوان: «مصطلحات تعليمية من التراث الإسلامي»، إنجاز جماعة من الباحثين، بإشراف د. خالد الصمدي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، والمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية بالمدرسة العُليا للأساتذة جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، (سنة ٢٠٠٨ م)، وانظر: مصطلح الخلاف والاختلاف، (ص/ ١٧٤) منه.

(٢) قال ابن منظور في «اللسان»: «تقول: خالفه مخالفة وخلافًا، وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا، وكل ما لم يتساوى؛ فقد تخالف واختلف».

(٣) يقول الراغب في «المفردات»: «الاختلاف والمخالفة أن يأخذ كلُّ واحد طريقًا، غير طريق الآخر في حاله أو قوله»، (ص/ ١٥٧).

(٤) يقول الفيروزآبادي في «القاموس»: «إنَّ اختلفَ ضدُّ اتفق، والخلاف: المخالفة». [«القاموس المحيط»، مادة: خلف].

الاختلاف الجبلي الفطري الطبيعي:

وهو سنة كونية طبيعية، من آيات الله وسننه التي لا تتخلف، جبل الله تعالى الناس عليها حينما خلقهم مختلفين في الألوان والألسن والقدرات العقلية والجسمية والأماكن والبلدان، والأجناس والأعراق والأرزاق، وجعل ذلك من موجبات عمارة الأرض، وهذا المعنى هو المقصود في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وقوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢]، وحين كان هذا الاختلاف آية إلهية وسنة كونية فهو بهذه الصفة عامل إغناء وثراء للطاقات الإنسانية المتنوعة المتكاملة والموزعة في أطراف الأرض، والتي ينبغي أن يسعى الإنسان إلى خلق تكامل بينها للقيام بمهمة الاستخلاف والإعمار لا أن يحولها عن طبيعتها ووظيفتها فتصبح سببًا في إذكاء العصبية المقيتة، ممّا يؤدي إلى التنازع والقتال، وذلك خراب العمران - على حد تعبير ابن خلدون -، بل ينبغي أن يسعى الإنسان بقدرته إلى المحافظة على هذا الاختلاف من خلال تجذير وإبراز الخصوصيات الثقافية والحضارية، ثم الاعتراف بحق الآخر في الاختيار والاختلاف، ومن ثم الحرص على التواصل من أجل تدبير راشد لهذا الاختلاف الطبيعي الذي يعتبر وحدة تحتضن التنوع في مكوناتها، وهذا التفاعل بين المكونات المختلفة داخل الجسم الواحد هو الذي يفجر طاقة الحركة نحو التنمية والعمل تمامًا كما يحدث داخل كل الأجسام الحية،

وهذا مصداق قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير آية سورة هود السالفة الذكر: «للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب»[1].

ومن مقتضيات الاختلاف الطبيعي أن خلق الله الإنسان وميزه بالعقل وكلفه ومكنه من الاختيار، وربط كل ذلك بالمحاسبة، ولا يتأتى الاختيار إلا بتعدد الخيارات ممًا يؤدي بالضرورة إلى الاختلاف قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ٨ - ١٠]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣]، وقال - تعالى -: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

مجالات الاختلاف الطبيعي والحكمة منه:

- **الاختلاف في الخلقة:** وهو الاختلاف الذي يكون بين الناس في العرق، فكان منهم العربي والفارسي والرومي والحبشي والصيني...، والاختلاف في اللغة فكان منهم الأعجمي والعربي، والاختلاف في اللون فكان منهم الأبيض والأسود والأصفر والأحمر، والاختلاف في الشكل فكان منهم الطويل والقصير والسمين والنحيل، وهذا النوع من الاختلاف دليل على عظمة الخالق الذي خلق فسوى.

- **الاختلاف في الدين والمعتقد:** فكان كل واحد من الناس مؤمن وكافر في نفس الآن، فالمسلم مؤمن برسالة الإسلام كافر بما سواها

(١) تفسير ابن كثير ج.٤ - ص: ٣٦٢ ، منشورات دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٩٩٩.

من المعتقدات، والبوذي مؤمن بالبوذية وكافر بالإسلام وغيره من الشرائع السماوية، والملحد مؤمن بالمادة كافر بما سواها من المعتقدات الغيبية، وهذا الاختلاف يقتضي من كل صاحب عقيدة أن يقر بحق الآخر في حرية المعتقد اقرار وجود لا اقرار تصديق، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ - ٦]، فاعتبر الشرك دينًا وذكره وأقر بوجوده إلى جانب دين التوحيد على سبيل المغايرة لا على سبيل التصديق، والحوار والجدال والدليل والبرهان وحدها السبيل إلى معرفة المفسد من المصلح. قال تعالى على لسان رسوله وهو يخاطب المشركين ويضع نفسه وإياهم في كفتين متساويتين من الميزان، ثم يعرض أدلته ويطلب منهم أدلتهم:-

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [سبأ: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

- **الاختلاف في الرأي:** ويكون في القضايا الاجتهادية التي تختلف فيها مدارك الناس وأفهامهم وزوايا نظرهم، وتتجلى مظاهره في الاختلاف بين العلماء في قضية من القضايا، أو في تأويل أو تفسير لنص معين، أو الاختلاف بين الأفراد من الناس نظرًا لتنوع خبراتهم وتجاربهم، وهذا بحر لا ساحل له، والحرص على حسن تدبيره كان سببًا في نشأة العلوم والفنون والأفكار والمدارس الفلسفية والفقهية

والحديثية والكلامية، وشرطه الإنصات والتأمل والتفكر واستخدام العقل، ونبذ التعصب والانغلاق والجهل.

وقد كان هذا النوع من الاختلاف موجودًا على عهد رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يعلم صحابته - رضوان الله عليهم - كيفية تدبيره دون أن يضيق بذلك، يقول الدكتور طه جابر العلواني رحمه الله:

«إذا سلمنا أن الاختلاف في القضايا الفكرية - التي منها القضايا الفقهية - أمر طبيعي، لما فطر عليه الناس من تباين في عقولهم وأفهامهم ومداركهم، وجب أن نقر بأن الاختلاف في عهد النبوة والخلافة الراشدة بين عديد من الصحابة كان أمرًا واقعًا تشهد له جملة من الأحداث، وليس في نفيه ما يخدم هذا الدين، كما أننا لا نرى في بيانه مساسًا بمثالية هذه الدعوة، وصدق نية أولئك الرجال الذين كانوا يختلفون، بل يمكن أن نقول: إن في ذكر هذه الاختلافات بيانًا لواقعية هذا الدين، فهو يتعامل مع الناس على أنهم بشر، تتنازعهم عوامل مختلفة ممَّا فطر الله تعالى خلقه عليه، ولكن الذي تطمئن إليه النفس المؤمنة أن ذلك الاختلاف لم ينشأ عن ضعف في العقيدة، أو شك في صدق ما يدعو إليه رسول الله ﷺ بل كان تحري الحق والرغبة في إصابة قصد الشارع من الأحكام بغية جميع المختلفين.

ولما كان الرسول ﷺ مصدر تلك الأحكام، لم يكن عمر الخلاف يمتد لأطول من الطريق المؤدية إلى رسول الله ﷺ، وقد رأينا من خلال الأحداث التي مرت أن أسباب الاختلاف في مجموعها، لم تكن تخرج عن تباين في فهم النص لأسباب لغوية أو اجتهادية، وذلك في

تفسير ما بين أيديهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم تكن هذه الأسباب لتخفي وراءها أية نوايا تحاول إنماء بذرة الخلاف التي كان المنافقون يحرصون على تعهدها. لذلك سرعان ما كانت هذه الاختلافات تضمحل بلقاء الرسول ﷺ، أو الاحتكام إلى نص أدركه بعضهم وغاب عن الآخرين، لأن غاية ذي الفطرة السليمة نشدان الحق حيثما وجد»[1].

الاختلاف غير الطبيعي:

وفي المقابل نجد استعمالاً آخر للاختلاف في القرآن الكريم يناقض السنن الكونية وما تقتضيه من رحمة، وهو ما نسميه بالاختلاف غير الطبيعي، وهو الذي يحدث خارج هذه الوحدة التي تحتضن التنوع، وينتج عن استغلال المتناقضات التي يتيحها التنوع ليحولها من عامل إثراء إلى عامل إغراء بالتفتت والتشرذم. بعد أن يبذل الإنسان مجهودات كبرى للتكامل والتقارب حتى إذا حصل الامتزاج وبدأ التعاون على خدمة الحق، جاء من يحدث الاختلاف والفرقة بدافع الهوى والتسلط والتشهي وغلبة حظوظ النفس.

وهذا هو السياق الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال ابن كثير: «أي من بعد ما قامت

(١) «أدب الاختلاف في الإسلام»، (ص/ ١٠١، ١٠٢).

الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]. قال ابن كثير: «ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم»[3].

وهو السياق الذي ورد فيه جواب نبي الله هارون أخاه موسى - عليهما السلام - حين أنكر عليه الاختلاف الذي حصل في عقيدة بني إسرائيل، حيث تنكب بعضهم في غيابه عن الحق وعبدوا العجل، فلم يذهب نبي الله هارون إلى أخيه موسى ليخبره بالأمر خشية أن يتفرق القوم عنه، وانتظر حتى يرجع موسى من مناجاة ربه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤].، فأصبح المثل السائر يقول: «إذا غاب موسى حضر السامري»، أي الذي يسعى إلى التفريق بين الناس بعد وصولهم إلى الحق واتفاقهم عليه، فيحتاجون إلى من يذكرهم بخطورة هذا الاختلاف بعد ورود البينات.

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، (١/ ٤٤٣).

(٢) آل عمران ١٠٥

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، (٢/ ٨٧).

٢) القيم الحاكمة لتدبير الاختلاف الطبيعي:

ممّا لاشك فيه أن منهجية تدبير الاختلاف في الإسلام تقوم على قاعدة من القيم الحاكمة الداعمة للاختلاف الطبيعي، كما أنها تتنافى ومجموعة من السلوكات النقيضة التي تكون سببًا في بروز الاختلاف غير الطبيعي في نسيج المجتمع، وقد أرسل الله - تعالى - الأنبياء والرسل ليبينوا للناس كيفية تدبير الاختلاف الطبيعي، ويحذرهم من الاختلاف غير الطبيعي وعواقبه، ثم ليوجهوا الإنسانية نحو الحق والصواب من أجل القيام بمهمة الاستخلاف والعمران، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ٦٤]، **وقد كانت كل الكتب السماوية ترسم للإنسان الطريق نحو الحق بحسن تدبير الاختلاف، وبترسيخ قيم الحوار وحسن الجوار والمجادلة بالتي هي أحسن، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فتلك هي اللحمة العاصمة من الصراع والتعصب والتفرقة والانغلاق. ومما يلفت الانتباه أن القرآن الكريم وهو يبين منهجية تدبير الاختلاف يرسم نسقين مختلفين:**

نسق ترسيخ القيم الداعمة للاختلاف الطبيعي:

وهي القيم التي تسهم في ترشيد هذا النوع من الاختلاف وتواكبه وتحصنه بالتوجيهات التي تحافظ على وحدة الإنسانية وتقوي من لحمة القيم المشتركة التي تربطها حتى وإن اختلفت في المعتقد،

ضمانًا لاستمرار العمران، وجعل الحوار والجدال والتعامل بالحسنى هو السبيل إلى القرب من الحق المتمثل في رسالة الإسلام الخاتمة.
يمكننا أن نحدد أهم هذه القيم في:

- **الدعوة إلى الإقرار بقيمة الحرية وقبول الاختلاف:** وهما قيمتان متلازمتان وأصيلتان في الإسلام، سواء كان هذا الاختلاف في الخلقة، أو اختلافًا في المعتقد، أو اختلافًا في الرأي كما حددناه في الفقرات السابقة؛ لأن كل هذه الأنواع تبرز حكمة الله - تعالى - في تنوع خلقه، وحكمته في تمكين الإنسان من الاختيار باعتباره مناط التكليف والمحاسبة: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، ولولا هذا المبدأ لما كان لدعوة الإسلام إلى التعارف والحوار معنى؛ إذ الحوار لا يتصور إلى بوجود قيمة الحرية في الاختيار والإقرار بحق الآخر في الاختلاف.
وينتج عن ترسيخ هاتين القيمتين: التأكيد على حق كل فئة في صناعة مقوماتها الحضارية، وحماية خصوصياتها الثقافية وممارسة شعائرها الدينية دون إقصاء.

ومن تجليات ذلك في الحضارة الإسلامية أنها كانت متنوعة المظاهر، فتجليات حضارة الإسلام في الأندلس، مخالفة للمظاهر الحضارية التي أفرزتها حضارة الإسلام في آسيا الوسطى وهي بدورها مخالفة لمظاهر الحضارة الإسلامية في مصر أو شبه الجزيرة العربية، وهذا يدل على أن الإسلام حين يمتزج بثقافة الشعوب اختيارًا لا يحرمها من خصوصياتها الثقافية بل يسهم في ترشيدها وإثرائها وإغنائها ولا يحاول عولمتهما وتنميطها. كما نجد من تجلياتها احتضان الحضارة

الإسلامية لكل الملل والنحل، وحماية حقهم في اختياراتهم الدينية والعقدية، المحافظة على أماكن عبادتهم وحرية ممارسة شعائرهم الدينية[1]، وهذا هو المنهج الذي سلكه الرسول ﷺ حينما دخل المدينة مهاجرًا إليها من مكة فوجد فيها إلى جانب المسلمين قومًا من أهل الكتاب، فخط كتابا لأهلها يحدد واجباتهم ويضمن حقوقهم على اختلاف مللهم ونحلهم، قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم، ومما جاء في هذا الكتاب «وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم»[2].

وهو المنهج الذي وجه إليه الوحي رسول الله ﷺ وهو يضع خاتمه الشريف على وثيقة صلح الحديبية التي جاء فيها «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمر، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض»[3]، وهو المنهج الذي سلكه رسول الله ﷺ في كل معاهداته ورسالاته إلى ملوك وعظماء عصره، وقد لخص شيخنا العلامة الدكتور فاروق حمادة حفظه الله جماع ذلك في كتابه الشيق الموسوم بـ «العلاقات

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب: «الحرية وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي»، د. محمد محمود الجمال، (سلسلة كتاب الأمة)، (العدد/ ١٣٨)، (سنة ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م)، وانظر د طه جابر العلواني في كتاب «لا إكراه في الدين»، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (٢٠٠٦ م).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام، (٢/ ١٠٧، ١٠٨).

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام، (٣/ ٢٠٣).

الإسلامية النصرانية في العهد النبوي»، حيث قال: «ولما جاءت وفود نجران وغيرها أفرادًا وجماعات لقوا من رسول الله ﷺ وصحابته كل ترحيب وتقدير، وحاورهم النبي ﷺ وسألهم وحاوروه وساءلوه، ونزلت فيهم آيات بينات تتلى في محاريب المسلمين إلى يوم الدين فيها الوصية بهم والإحسان بمعاملتهم والتلطف في دعوتهم والبر لكل من لم يعلن سيف الحرب منهم وعادت وفودهم إما بصلح وثيق، أو بإيمان عميق»[1].

وزاد في موضع آخر «وجاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة وقد ائتساها الخلفاء، وعليها بنى الأحكام والتشريع الفقهاء، فمن الأحاديث قوله ﷺ فيما رواه صفوان بن سليم عن عدة - ثلاثين- من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ من آبائهم دنية -أي: الأقربين - قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه، فأنا حجيجه يوم القيامة»، وزاد البيهقي: «ألا من قتل معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله، حرم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفًا»[2].

وهو نفس المنهج الذي اتبعه الخلفاء الراشدون المهديون وهم يحمون أموال وأعراض المخالفين لهم في الدين وهم يعيشون في كنف دولة الإسلام، وهو نفس المنهج الذي ظهر جليًا في كتاب عمر بن

---

(١) د. فاروق حمادة، «العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي»، منشورات دار القلم - بيروت، (ص/ ٢٤٦).

(٢) نفسه، (ص/ ٢٤٧)، والحديث أخرجه أبو داود.

الخطاب رضي الله عنه، وهو يكتب كتابه لأهل (إيلياء) بيت المقدس بعد فتحها يؤمنهم فيه على كنائسهم وصلبانهم ويضمن حريتهم في العبادة، ويتعهد بحماية أموالهم وأعراضهم من كل انتهاك أو اعتداء، وممَّا جاء فيه: هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبناهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صُلُبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صُلُبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم «شهد على ذلك الصحابة الكرام: خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبى سفيان».

وقد كان لهذا المنهج نتائج عظيمة في تاريخ الإسلام خاصة والحضارة الإنسانية بصفة عامة، شهدت بذلك كتابات المنصفين من علماء الغرب.

- **الدعوة إلى التعارف والتعايش والتساكن:** وذلك من أجل توفير البيئة السليمة الآمنة للحوار وإتاحة الفرصة التعريف برسالة

الإسلام من غير إكراه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، **وذكرهم بالأصول المشتركة التي تعتبر منطلق التعارف والتعايش فقال تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، **وقال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد»[1].**

- الدعوة إلى الحوار: من غايات ترسيخ قيم التعايش والتساكن والإقرار بحق الآخر في حرية الاختيار وقبول مبدأ الاختلاف، فتح باب الحوار مع أصحاب الاختيارات العقائدية والدينية الأخرى، وعرض رسالة الإسلام بالحسنى مسندة بالدلائل العقلية والنقلية ومن أجل أن يكون هذا الحوار هادفًا ومجديًا أحاطته الشريعة الإسلامية بجملة من الضمانات والتوجيهات.

- السعي إلى البحث عن المشترك: وهو ما أسماه القرآن الكريم بالكلمة السواء، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

(١) رواه أحمد في (مسند الأنصار).

- **المجادلة بالتي هي أحسن:** قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقد أعطانا رسول الله ﷺ المثل من نفسه وهو يكاتب ملوك عصره، فيخاطبهم بما يناسب مقامهم عند قومهم ويدعوهم إلى الإسلام بالقول الحسن، فقد كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم كتابًا جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فعليك إثم الأريسيين؛
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾»[1].

- **النهي عن استفزاز أصحاب المعتقدات الأخرى بقول السوء: لأن ذلك سيدفعهم إلى الرد بالمثل ممًّا يتنافى وشروط الحوار من جهة، ويكون سببًا في الإساءة إلى الإسلام من جهة ثانية، قال تعالى:** ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، **ثم بين الله تعالى أن كل أهل عقيدة يرون الحق فيها، وإذا علمنا أنَّ الحق لا يتعدد فالحوار وحده هو السبيل إلى معرفة الحق من الباطل، فقال تعالى في نفس الآية:** ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير).

مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، **وهو المنهج الذي سلكه الرسول ﷺ هو يحاور المشركين ويبين لهم بعدهم عن الحق بعبادة الأصنام والشرك بالله، دون أن يذكر آلهتهم بسوء، وهو الذي قضى بمكة ثلاث عشرة سنة يشاهد الأصنام أمام الكعبة دون أن يهدمها؛ لأنَّه ﷺ كان يدرك أهمية تغيير التصورات والمعتقدات قبل تغيير المظاهر المادية الدالة على الشرك، قال تعالى:**

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٤ - ٢٦].

- الدعوة إلى الإحسان إلى المخالفين ومد جسور التواصل معهم بمختلف الطرق والوسائل: لأنَّ ذلك مدعاة إلى استمرار الحوار، قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦].

- الدعوة إلى العدل والإنصاف حتى مع المخالفين: فالعدل والإنصاف أساس العمران، والله - تعالى - ينصر الأمة العادلة وإن كانت غير مسلمة، ويستبدل بالظالمين ولو كانوا من المسلمين قومًا آخرين غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم، ولذلك أمر الإسلام بترسيخ قيمة العدل والإنصاف بين الناس على اختلاف مللهم ونحلهم، فذلك من مقتضيات ترسيخ الثقة المتبادلة من أجل وضع أرضية مشتركة للحوار البناء، ومن

مقتضيات التعايش وتبادل المنافع والمصالح قال تعالى:
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

ومن مظاهر الإنصاف عرض آراء الغير كما هي دون زيادة أو تحريف قبل مناقشتها أو الرد عليها، وهذا منهج القرآن الكريم في عرض أقوال وحجج المخالفين إذ يعرض أقوال إبليس وأقوال المشركين ويرد عليها بمنطق العقل وخاصة ما تعلق منها بقضايا العقيدة كالتوحيد والبعث وغيرها. والنماذج من هذا كثيرة ومتعددة خاصة في القرآن المكي.

صيانة المجتمع من كل مظاهر الاختلاف غير الطبيعي:

ذلك أن الإسلام لا يقر بالاختلاف غير الطبيعي كما عرفناه سابقًا ولا يسعى إلى تدبيره بأي حال، بل يحذر منه ومن وقوعه، ويسعى بكل الوسائل إلى التقليص منه ومحاربة دواعيه، فإذا بقي منها شيء بفعل نوازع الشر الكامنة في بعض النفوس الساعية إلى خراب العمران سعى إلى دفعها بتقوية قيم الحق ونشره والدفاع عنه وصيانته من كل أشكال الانتهاك، ويتجلى هذا التوجه في تحديد الأسباب المؤدية إلى الاختلاف غير الطبيعي وبيان الموقف منها، ومن ذلك:

- **التحذير من التفرقة بعد معرفة الحق والانقياد له:** والإسلام يذم هذا السلوك سواء وقع داخل الجماعة المؤمنة التي عرفت الحق واسترشدت بهداه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أو داخل المجتمع الإنساني الواحد الذي تلقى الخطاب الإلهي عن أنبياء الله ورسله في أزمنة وأمكنة مختلفة ثم هو منخرط في الحوار المفضي إلى الحق، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

- **تجريم الظلم والعدوان:** جرم الإسلام كل أشكال الاعتداء والظلم والطغيان بغض النظر عن الجهة التي يصدر عنها، أو الجهة التي يمارس عليها، ذلك لأن الظلم والعدوان مناقض لقيم الاختلاف الطبيعي القائمة على التساكن والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، والتدافع من أجل الوصول إلى الحق، ضمن مجتمع متعايش متضامن. والظلم والعدوان موقع في الاختلاف غير الطبيعي الناشئ عن الصراع والنزاع واتباع الهوى، فكان موقف الإسلام منه شديدًا،

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي عن ربه - عز وجل - قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا»(١)، وحرم قتل النفس إلا بالحق، وحمى الأعراض والأموال من الانتهاك سواء كانت لمسلم أو غيره من أهل المعتقدات الأخرى إلا أن يكون بدوره معتديًا فيكون الرد رد عدوان حتى لا يطغى على الأصل الذي هو قيم السلام، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وجعل مختلف المؤمنين بقيم السلام يدًا واحدة على من اعتدى وظلم، منتصرين للحق حتى يرجع إلى أهله، قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

ولذلك نجد في كتاب الرسول ﷺ لأهل يثرب «وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصيحة والنصر للمظلوم، وأن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة، وأنه ما كان

---

(١) رواه مسلم.

بين أهل هذه الصحيفة من حدث يخيف فساده فإن أمره إلى الله وإلى محمد النبي، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب»[1].

- **التحذير من العصبية العرقية**: ومن ذلك أن الإسلام حرم العصبية على أساس اللون أو العرق أو اللغة، لأن ذلك استخدام لمقومات الاختلاف الطبيعي في غير ما وجد من أجله، ونجد ذلك جليًا في نص خطبة الوداع التي تعتبر بمثابة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي ختم به الرسول ﷺ رسالته؛ إذ يقول: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، أبلغت»، قالوا: بلغ رسول الله، ثم قال: «أي يوم هذا؟»، قالوا: يوم حرام، ثم قال: «أي شهر هذا؟»، قالوا: شهر حرام، قال: ثم قال: «أي بلد هذا؟»، قالوا بلد حرام، قال: «فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا أبلغت»، قالوا: بلغ رسول الله، قال: «ليبلغ الشاهد الغائب»[2]. وكان رسول الله ﷺ شديد الحساسية من كل الأساليب التي قد تُؤدِّي إلى إحياء العصبيات والنعرات حفاظًا على تماسك المجتمع المسلم، فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»[3].

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام، (٢/ ١٠٨).

(٢) رواه أحمد في (مسند الأنصار).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان).

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟»، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين، رجلًا من الأنصار، فقال: «دعوها، فإنها منتنة»(١).

وكان الناس يتفاخرون بآبائهم في الجاهلية فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ خطب في الناس يوم فتح مكة، فقال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ»(٢).

- **نبذ الكراهية من دون سبب معتبر:** لم يكن من منهج الإسلام بث الحقد والكراهية بين الناس لذواتهم أو أعراقهم أو أجناسهم أو لاختياراتهم العقدية والدينية، في ما يعتبر اختلافًا طبيعيًا بل دعا إلى التقارب والتسامح والتعايش كما رأينا، ولكنه كره إلى الناس كل صور الظلم والكفر والفسوق والعصيان بغض النظر عن الجهة التي تصدر عنها، وهي أقوال أو أفعال اختيارية يمكن أن يقدم الإنسان عليها فيصبح ممقوتًا من طرف الأسوياء والعقلاء في مجتمعه لأنه ظلم أو اعتدى أو خان أو كذب، بغض النظر عن عقيدته ودينه، ويزداد الأمر سوءًا إذا صدرت مثل هذه الأقوال والأفعال عن المنتسبين إلى شريعة الإسلام التي دعت إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

فقد مدح الله تعالى بني إسرائيل في العديد من آي القرآن الكريم حين اتصفوا بالعدل فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يونس: ٩٣]. ولكنه ذمهم ولعنهم حينما اعتدوا وظلموا، فقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧، ٧٨]. وذم كثيرًا من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٣]. ولكنه مدح منهم من اتصف بالتواضع وعدم الكبر فقال تعالى:

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانٗا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقد ذم الله تعالى في القرآن الكريم تصرفات الظالمين والمعتدين والمطففين والخائنين والمستكبرين ممَّن هم في دائرة عقيدة الإسلام أيضًا؛ لأنهم خالفوا تعاليمه بأفعالهم، ومدح الذين يجتنبون الفواحش، ويعفون عند الظلم، وينفقون في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٧ - ٤٠].

والخلاصة أنَّ كل الأوصاف التي وصف بها الله تعالى أتباع الشرائع السماوية سواء كانت محمودة أو مذمومة هي بالاستقراء مرتبطة بالأفعال الصادرة عنهم، وهي في كل الأحوال منسحبة على من سواهم من الذين يدينون بالديانات الوضعية، فالحب والكره في نهاية المطاف مرتبطان بالأفعال والأقوال لا بالأعراض والأشخاص. وهذا ما تتفق عليه العقول السليمة وتدافع عنه وهو من نقط الالتقاء رغم الاختلاف.

- النهي عن الانغلاق على الذات وعدم الانفتاح على الآخرين لمجرد اختلافهم: «إنَّ البحث عن الصواب حيث يكون، والأخذ بالحكمة ولو من فم المخالف، واعتبار المنتوج العلمي البشري مجالًا للبحث والاختيار في ضوء مقاصد الإسلام وغاياته الكبرى التي تستدمج كل اجتهاد إيجابي نافع، هو المسلك القويم، فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدناه يقص علينا من قصص الأمم المختلفة ما يعتبر مجالًا واسعًا لأخذ العبرة والمثل. وإذا نظرنا إلى سنة المصطفى ﷺ، وجدناه يوجه بعض صحابته إلى تعلم اللغات الحضارية السائدة في عصره كالسريانية والفارسية للاطلاع على حضارتهم.

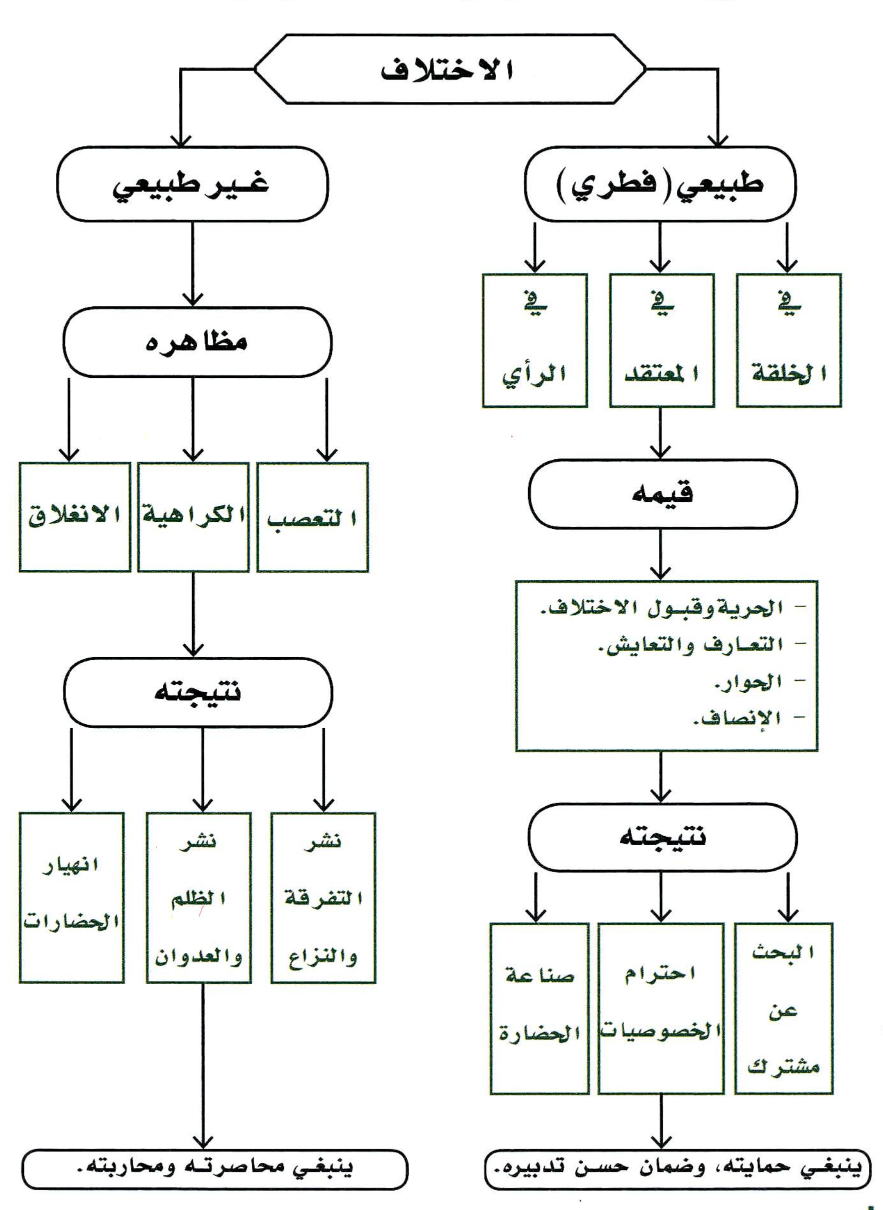
وإذا تصفحنا تاريخ الخلفاء الراشدين ومن اهتدى بهديهم من بعدهم وجدناهم قد أدخلوا من تجارب الأمم الأخرى في تنظيم الدولة، كسك النقود ونظام الجبايات والبريد وغير ذلك من النظم الإدارية. وإذا اطلعنا على تاريخ الفكر الإسلامي، وجدنا اهتمام المسلمين بالترجمة من خلال تأسيس دار الحكمة في المشرق ومدارس قرطبة في المغرب، ووجدنا حوارات مفتوحة بين فطاحل العلماء

والفقهاء المسلمين وغيرهم من الأحبار والرهبان من الشريعتين اليهودية والنصرانية، كل ذلك بهدف إبراز سماحة الإسلام وقوة حجته ومنطقه الفكري والعقدي، وفي نفس الآن الاستفادة من كل اجتهاد يخدم البشرية ويرقى بها إلى أحسن حال. ولم يكن هؤلاء يضيقون ذرعًا بالفكر المخالف»[1].

وانطلاقًا من كل ما سبق يمكننا أن نلخص الخريطة المفاهيمية للاختلاف وتجلياته في تصورات الإنسان وسلوكاته في الترسيمة التالية:

(١) انظر: «كيف نبني ثقافتنا الإسلامية وكيف نقدمها للآخرين»، د. خالد الصمدي، (مجلة حراء)، (عدد/ ١٢)، (يوليوز ٢٠٠٨ م).

الخريطة المعرفية لمفهوم الاختلاف



٣) مهارات تدبير الاختلاف:

إذا ما تعرفنا مفهوم الاختلاف وموقف الإسلام منه، وتأسيس قيمه الحاكمة وبيان ما يناقضها، وهي القيم التي توجه تدبير الاختلاف حتى يثمر، فإننا ننتقل إلى الشق الثالث من هذا الإطار النظري والمتعلق بالمهارات التي نحتاج إليها في تدبير الاختلاف، ويمكن أن نقسمها إلى: مهارات ذاتية: وهي مهارات الانطلاق التي لا يمكن أن يدبر الاختلاف إلا بتوفرها في **المخاطب** (بالكسر)، ثم مهارات في صياغة **الخطاب** الذي سيتم تداوله مع المختلف وهو الخطاب الذي يمد حبل الاطمئنان والثقة بين الناس كي يجلسوا إلى طاولة الحوار عند الاختلاف، ثم **أساليب تبليغ هذا الخطاب**، ذلك أن هذا الخطاب لا بُدَّ وأن يبلغ عن طريق التواصل بأشكال وأساليب مختلفة وهو ما يقتضي التوفر على مهارات تواصلية مقنعة ومفيدة.

فمن المهارات التي ينبغي أن تتوفر في المخاطب.

استيعاب ثقافة الذات:

لا يتصور أن يدبر الاختلاف إلا بعد استيعاب مختلف جوانبه، وأول ما يستوعب من هذه الجوانب هو ثقافة الذات من خلال معرفة مرجعياتها ومنطلقاتها، ثم قيمها الحاكمة وأحكامها وقوانينها ثم التجليات التطبيقية العملية لتجربتها الحضارية على مر التاريخ من خلال أمثلة ونماذج، ومن هنا يكون الإحساس والوعي بالاختلاف والمغايرة.

أما من يجهل ذاته فلا يمكن أن يعيش متعة الاختلاف في بعده الإيجابي، كما أنه يفتقد نشوة الاعتزاز بالانتماء إلى حضارة أو ثقافة معينة، ومن ثم السعي إلى إغنائها ثم تقديمها للناس باعتبارها رصيدًا غنيًا بالتجارب والأفكار القادرة على الإسهام في حل المشكلات الإنسانية.

ومن هنا نقول أن استيعاب الرؤية والمنهجية الإسلامية انطلاقًا من مصادرها الأصيلة، والتعرف على الميراث الحضاري الإسلامي وتاريخه وخصوصياته البيئية والجغرافية يعتبر المدخل الرئيس للنجاح في تدبير الاختلاف مع الآخر، أما الجهل بالذات وبمقوماتها فلا يتصور معه تدبير ناجح للاختلاف.

كما أننا نؤكد على أن الجهل بالذات يفقد صاحبها حتى القدرة على الدفاع عنها عند الاختلاف ممًا يوقع في العاطفية والتي تعتبر بوابة الفشل في تدبير الاختلاف حين تغيب الحجة والمنطق والمادة العلمية الكافية، وهذا ما نلاحظه لدى العديد من الشباب وهم يناقشون مواضيع القيم والعقيدة في غرف الدردشة على شبكة الإنترنت حيث يتحول النقاش إلى استفزاز فاتهام فسب وشتم، في حين ينجح آخرون في الإقناع لأنهم مستوعبون لثقافتهم وحضارتهم، ويمتلكون منهجية منظمة في الحوار.

يقول الدكتور عباس الجراري في كتابه «الحوار من منظور إسلامي»[1]، إن أداة الحوار الأساسية هي المعرفة الصحيحة الثابتة التي يكون

(١) د. عباس الجراري، «الحوار من منظور إسلامي»، منشورات الإيسيسكو، (سنة ٢٠٠٠ م)، (ص/ ٣٧).

صاحبها مقتنعًا بها وراغبًا في توصيلها والإقناع بها، وقد تحدث القرآن الكريم عنها من خلال ذكر العلم والحكمة والبصيرة على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله - عز وجل -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقد أدان القرآن الكريم من يحاور أو يجادل بغير هذه المعرفة الصادقة المقنعة إذ يقول - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

القدوة والالتزام:

من علامات الاقتناع بثقافة الذات، ومن مظاهر الاستعداد للدفاع عنها، وإقناع الغير بها الالتزام بمقتضياتها وإبراز فوائدها بالقدوة، وهذه مهارة في تدبير الاختلاف غاية في الأهمية ذلك أن كل نسق حضاري منسجم لا بُدَّ وأن يستند إلى مرجعية معينة تؤطر أفكاره وتصوراته للكون والحياة والمصير، وتتجسد هذه التصورات عمليًا في اختيارات وسلوكات ومواقف مؤطرة بمنظومة قيم تستند إلى هذه المرجعية.

ومن هنا ندرك سر دعوة الإسلام إلى الجمع بين القول والعمل، والتنبيه إلى خطورة التناقض بين القول والفعل، كما أن الباحث عن القدوة والاقتداء يبتغي وجود نموذج حضاري تتسق فيه الأقوال والقناعات بالتطبيقات العملية التي تجسدها على أرض الواقع،

وينفر من كل نموذج يرى في سلوكات أتباعه ما يناقض أقوالهم لأن ذلك مؤشر على عدم الاقتناع بالنموذج، أو وجود خلل في منظومة النموذج الحضاري في حد ذاته.

من هنا كانت أهمية الالتزام وإعطاء القدوة من أهم المهارات التي تعتمد في التعريف بالنموذج الحضاري من جهة ومقياسًا لاختيار النموذج الحضاري المناسب.

وقد كان رسول الله ﷺ يقتصر في كثير من الأحيان في التعريف بالإسلام على إبراز القدوة الصالحة، وذلك استنادًا منه إلى توجيهات الوحي، فقد جاء وفد ثقيف عام الوفود حتى قدموا على رسول الله ﷺ يريدون الصلح وهو بالمدينة حين رأوا أن قد فتحت مكة وأسلم عامة العرب فقال المغيرة بن شعبة: يا رسول الله، أنزل على قومي فأكرمهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «لا أمنعك أن تكرم قومك، ولكن تنزلهم حيث يسمعون القرآن»، فأنزلهم رسول الله ﷺ في المسجد وبني لهم خيامًا لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا[1]، وهذا مصداق قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ [الممتحنة: ٦]. وهذه المهارة في تدبير الاختلاف تعتبر من أعقد المهارات لأنها تتطلب الدوام والاستمرار في مختلف الأحوال والظروف والأمكنة حتى تصبح جبلة وطبيعة وخلقًا، فلا يمكن

---

(١) «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، نشر عالم الكتب - بيروت (١٤١٧ هـ)، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، (٢/ ٢٤٠).

للإنسان أن يعطي الدليل على الإيمان بالحوار في موقف ومخالفة ذلك في مواقف أخرى، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان خلقه القرآن»[1]، والقرآن هنا منهاج حياة.

التمييز بين المقدس والتاريخ في التراث الإسلامي:

من المهارات العليا التي يقتضيها تدبير الاختلاف التفريق في مرجعية النموذج بين الثابت والمتغير، بين منطقة المسلمات والقطعيات و منطقة الاجتهاد، لأن معرفة هذه المساحات يساعد على تحديد منهجية النقاش والحوار.

وهنا نؤكد على أن أي نموذج حضاري يملك منطقة قطعيات خصوصيات تشكل أساسه وقاعدته ينبغي أن تحترم وهي منطقة الجدل بين النماذج المختلفة، ومنطقة تطبيقات تاريخية بشرية تقترب أو تبتعد من المرجعيات والقطعيات، وهي تطبيقات قابلة للنقد والأخذ والرد والتوافق ومن ثم كانت منطقة حوار[2]. وكثيرًا ما يعاني شبابنا اليوم من المنتسبين إلى الإسلام من السقوط في الدفاع العاطفي عن كامل المنتوج الحضاري للمسلمين دون تمحيص

---

(١) رواه أحمد.

(٢) نفرق بين الحوار والجدال: ذلك أنَّ الحوار: يكون في القضايا الاجتهادية التي قد تنتهي بتنازل أحد الطرفين، أو التوافق على بعض النقط، أمَّا الجدال: فيكون في القضايا العقدية التي لا يمكن أن تنتهي بنتيجة التوافق وإنما تنتهي بانزياح أحد الطرفين إلى قناعات الطرف الآخر والتخلي عن قناعاته كلية. ولذلك قال - تعالى -: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ لأنَّ الجدال في هذه الحال يستهدف إقناعهم برسالة التوحيد وبعدهم عن عقيدة التثليث، أو ادعاء البنوة لله ...

ولا نقد، لا يفرقون فيه بين قطعيات الدين ومقدساته والنماذج الاجتهادية التطبيقية التاريخية التي عرفت في مسيرة حضارته، إذ تجد بعضهم يتحرج من طرح بعض الهنات المسجلة في تاريخنا الفكري، ويسقط في تبرير ما لا يبرر، وتبجيل ومدح كل المواقف دون تمحيص للأخطاء ولا كشف عن الزلات. وليس هذا من منهج الإسلام في شيء؛ فقد اشتهر عن علمائنا من المجتهدين قولهم «كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر»، في إشارة إلى المقام المكرم لرسول الله ﷺ، وهم القائلون «ما وافق كتاب الله وسنة رسوله فهو مذهبي، وما خالفهما فاضربوا به عرض الحائط».

في ضوء ذلك لا يمكننا أن نعلم ناشئتنا تقديس ما لا يقدس والتسليم بكل فكر ينسب إلى عالم المسلمين وربطه بالإسلام جملة وتفصيلًا؛ لأنَّ من شأن ذلك أن يجعل هذا الدين العظيم يهن في نظر أبنائه حين يكتشفون في تاريخه أخطاء ارتكبها باسمه بعض رواده ونسبوها إليه تبريرًا وتسويغًا، أو كانت اجتهادات صالحة لزمانها ولم تعد كذلك اليوم، أو أخطاء لم ينتبه إليها أصحابها في حينها فذهبوا بالأجر الواحد. في نفس الوقت ينبغي أن نربي في أبنائنا محبة العلماء وتقدير جهودهم والبحث عن النقط المضيئة في أخلاقهم وسيرهم، والاقتداء بسننهم في الاجتهاد والتضحية والإنتاج العلمي. كما ينبغي أن نعلمهم أن نقد الفكر له شروطه وآدابه، وأن حرية إبداء الرأي مكفولة، وأن تجريح الأشخاص مذموم ومستقبح، لكن الخطأ كل الخطأ أن نسقط في تقديس الأفكار والآراء واعتبارها منزهة عن النقد وإعادة النظر[1].

---

(١) انظر: «كيف نبني ثقافتنا الإسلامية وكيف نقدمها للآخرين»، د خالد الصمدي، (مجلة حراء)، (عدد/ ١٢)، (يوليوز ٢٠٠٨ م).

استيعاب موضوع الاختلاف وسياقه في ثقافة الآخر:

ذلك أن الحوار مع الآخر المختلف يقتضي استيعاب موضوع الاختلاف كما هو في ثقافته من خلال ربطه بمقوماتها ومرجعيتها وبيئتها، وهذا يساعد على تكوين رؤية واضحة عن منهجية التفكير التي يعتمدها ويتبناها، والحجج التي يستند إليها، كما يساعد على فهم واستيعاب المعلومات التي يعرضها أثناء النقاش وفهم سياقها.

وقد قدم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نماذج وأمثلة من هذه المنهجية، فالقرآن الكريم يعرض مفهوم قريش للشرك حسب ما تقتضيه البيئة التي يعيشون فيها، ثم يناقش هذا المفهوم باعتماد نفس الحجج التي يستندون إليها في تبريرهم للشرك وعبادة الأصنام ليخلص إلى مناقشة هذه الحجج بالبراهين العقلية التي تنقض مفهومهم للعبادة من أساسه وتجعلهم يبحثون عن بديل إيماني أكثر تماسكًا وإقناعًا، وهنا بالضبط يعرض مزايا عقيدة التوحيد.

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ [الزمر: ١ - ٥].

كما أن القرآن الكريم عرض قصة سيدنا إبراهيم مع قومه وهو يحاورهم حول عبادة الأصنام وينقض أدلتهم التي يستندون إليها من داخلها، قبل أن يعرض عليهم عقيدة التوحيد، قال تعالى:

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢ - ٦٧].

ومن الأمثلة الرائعة على ذلك توجيه رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن والتي زوده فيها بمعلومات هامة عن القوم الذين سيقدم عليهم، وكذا المنهج المتدرج في دعوتهم إلى الإسلام، فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس»[1].

نستنتج من ذلك أن حسن تدبير الاختلاف يقتضي استيعاب رؤية الآخر ومرجعيته وفهم رؤيته للموضوع من داخل سياقها، قبل

---

(١) رواه البخاري.

الدخول في الحوار الذي يتم فيه تفكيك الآراء وعرض كل من الطرفين لبديله الذي يقتنع به، مسندًا بالحجة والبرهان.

ومن آفات غياب هذه المهارة في الحوار مع المختلفين السقوط في محاكمة أقوال وأفعال الآخرين انطلاقًا من ثقافتنا وأحكامنا، فننظر مثلًا إلى العلاقة بين الجنسين في الغرب على أنها منافية للخلوة الشرعية، وموقعة في الاختلاط والزنى، واختلاط الأنساب، علمًا بأن كل هذه المفاهيم تنتمي إلى سياق المنظومة الإسلامية، وأن السلوكات التي نلاحظها في العلاقة بين الجنسين في الثقافات الأخرى ينبغي النظر إليها انطلاقًا من أصول هذه الثقافة التي تعتبرها سلوكات طبيعية تعكس جو الحرية كما تفهمه في مجتمعاتها.

كما أن الآخر لا ينبغي أن يتسرع في إصدار أحكام التحجر وظلم المرأة على رؤية الإسلام للعلاقة بين الجنسين قبل أن يفهم هذه العلاقة في سياق الثقافة الإسلامية ونظرتها إلى نظام الأسرة برمته.

إنَّ الانفتاح المتبادل على الثقافات وفهمها في سياقها مع الاعتراف بالحق في الاختلاف ضابط مهم لاستمرار الحوار، وإن السبيل الأقوم لذلك - في مثل النموذج الذي نحن بصدده -، يمر بالضرورة عبر المراحل الآتية:

- الفهم المتبادل لأصول الثقافتين المختلفتين المتحاورتين (الغربية القائمة على التحرر من قيود الدين الإسلامية القائمة على تقنين العلاقات الجنسية حماية للأعراض والأنساب).

- وضع سلوكات الجنسين في سياق كل من الثقافتين من أجل فهمها.
- الاتفاق على حاجة الإنسان بمختلف مرجعياته وثقافاته إلى حماية النوع البشري.
- عرض كلا النموذجين ببيان أهمية كل واحد منهما وميزته في حماية النوع الإنساني حسب رؤية كل فريق.
- البحث المشترك عن النموذج الأمثل لتحقيق هذه الغاية النبيلة بالدليل والبرهان.

إنَّ عدم فهم ثقافة الآخر ووضعها في سياقها وبيئتها يجعل كلًا من المتحاورين يسقطان في محاكمة كل واحد منهما لسلوكات الآخر انطلاقًا من مرجعيته ورؤيته، ممًّا يقضي على فرص الفهم المتبادل، وبالتالي يعمق الاختلاف.

مهارات مفيدة في صياغة محتوى الخطاب:

استحضار حال المخاطب:

من مهارات تدبير الاختلاف معرفة حال المخاطب، وذلك شرط ضروري لاختيار اللغة المناسبة له والتي تتغير بتغير حاله، فالخطاب الموجه للمختلف عقيدة ودينا هو غير الخطاب الموجه إلى من يشترك معك في المرجعية والعقيدة، وخطاب المؤلفة قلوبهم هو غير خطاب من حسن إسلامه، وخطاب المستفسر الذي يريد المعرفة، هو غير خطاب العارف المنكر، وخطاب المتعجل هو غير خطاب المتأني المنصت، وخطاب الفرد هو غير خطاب الجماعة أو خطاب الفرد أمام الجماعة.. وهكذا.

وقد عرفنا هذه المهارة من طريقة رسول الله ﷺ في صياغة الخطاب الموجه إلى مختلف الأشخاص والأعمار وفي مختلف الأحوال والأماكن والبلدان، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين يسأل عن أفضل الأعمال يجيب السائل بحسب حاله والظرف الذي طرح فيه السؤال، ويعرض في الجواب الأهم فالأهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني[1].

كما كان رسول الله ﷺ يطيل الجواب حين يلحظ استعداد السامع وإقباله على التعلم كما هو الشأن في حديث معاذ رضي الله عنه حين سأله قائلًا: «أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار»[2]، وكان يجيب بالجواب المقتضب إذا لاحظ على السائل أمارات العجلة والسرعة وعدم الاستعداد النفسي للتلقي والاستيعاب الواسع، فعن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: «لقد سألت عظيمًا، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، حتى بلغ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾»، ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟ الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»، قلت: بلى، فأخذ بلسانه، فقال: «تكف عليك هذا»، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار، إلا حصائد ألسنتهم؟».

أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: «لا تغضب»، فردد مرارًا، قال: «لا تغضب»[1].كما أننا رأينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرسل رسله إلى الأمصار المختلفة يختار من يعرف عادات القوم وأحيانًا لغاتهم وأديانهم، حتى يكون قادرًا على تكييف خطابه الدعوي والحجاجي مع حالاتهم المختلفة، بل كان يزودهم بتوجيهات منهجية تفيدهم في صياغة الخطاب المناسب لأحوالهم وأعرافهم وقناعاتهم كما رأينا في توجيهه صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه وهو يرسله إلى قوم من أهل الكتاب باليمن.

تحرير مجال الاختلاف:

ومن لوازم المهارة السابقة تحرير مجال الاختلاف، ذلك أن الاختلاف له مجالات ثلاثة:

١- مجال القيم .. والاختلاف في هذا المجال لا بد أن ينتهي إلى المشترك والتعاون عليه؛ إذ إن عقلاء البشر يتفقون على قيم مشتركة لا تتخلف كالحرية والعدل والأمانة والصدق، وينكرون ما يناقضها، ولكنهم يختلفون في مفهومها وممارستها تبعًا لاختلاف مرجعياتهم العقدية والفكرية وتجاربهم الحضارية، «فالخلاف لا يمكن في النظر إلى القيم في بعدها الكوني فكل القيم قيم كونية بلا خلاف إذ الحرية والعدل والمساواة والكرامة والإنصاف وغيرها لا يمكن أن تكون إلا مطلبًا كونيًا لكل إنسان مهما اختلف لونه أو عرقه أو دينه، ومن هنا يكون الحديث عن القيم باعتبارها من الخصوصيات احتكارًا

---

(١) رواه البخاري.

غير مبرر، ومنحى لا ينسجم مع طبيعة القيم ذاتها التي تتنفس طبيعيًا في فضاء الكون دون حابس، لكن المرجعية والخصوصيات الحضارية لكل أمة ومجتمع تجد نفسها حاضرة بقوة في تحديد مفهوم القيمة وليس في القيمة ذاتها، فالحرية قيمة كونية بلا خلاف لكنها تتداول في الخطاب بمفاهيم مختلفة، فيصبح التدخل في الشؤون الداخلية للدول دفاعًا عن الحرية وتكريسًا لها في عرف الغازي، وظلمًا وقهرًا وكتما للأنفاس في عرف المغزو، ويصبح تناول المخدرات حقًا من حقوق الإنسان باعتبار حرية التصرف في الجسد في عرف من يتناولها، وهي جرم في حق النفس والمجتمع في عرف من يرى فيها ضررًا على النسيج الصحي و الاجتماعي، ويصبح انتقاد المقدس في وسائل الإعلام مباحًا في إطار حرية التعبير، وجرمًا في رأي من يرى أن الإعلام مسؤولية ينبغي أن تحترم قيم القارئ ومبادئ المجتمع.وقس على ذلك.

ومن هنا يبدو أن حضور المرجعية مركزي في بناء منظومة القيم ولا يتناقض مع طبيعة القيم الكونية فالمرجعية تحدد المفهوم، وفي نفس الوقت تعمل على ترسيخه في المجتمع»[1]، فيكون الحوار مركزًا على بيان قدرة كل مرجعية على ترسيخ القيم في المجتمع من خلال تماسك رؤيتها النظرية وممارستها العملية التطبيقية، بعد الارتكاز إلى المنطلق المشترك وهو الاتفاق على منظومة من القيم والبحث عن أنجع السبل لترسيخها في سلوكات الناس.

---

(١) «القيم الإسلامية في المنظومة التربوية» خالد الصمدي، (ص/ ١٤).

٢- مجال المعتقدات وما يرتبط بها من أحكام: وهو مجال الجدال الذي ينتهي إلى أحد أمرين : إما حسم الخلاف في اتجاه واحد وذلك بانزياح أحد الطرفين عن موقعه والاقتناع بالمنظومة الاعتقادية والتعبدية للآخر، وإما إلى الاتفاق على احترام كل من الطرفين لمعتقدات الآخر وشرائعه وأحكامه، والسبب في ذلك يعود إلى كون الخيارات العقدية تستند عند أصحابها إلى قطعيات ومسلمات لا نقاش فيها ولا خلاف، وهي دائرة الحق التي يستند إليها ليبني تصوراته وسلوكاته، وبما أن الحق لا يتعدد فإن الحديث عن التوافق في هذا المجال غير ذي جدوى.

وبذلك يكون الهدف من تدبير الاختلاف في هذا المجال هو في حده الأدنى تكريس مبدأ احترام الاختيارات العقدية وحرية ممارستها وتجنب كل أشكال تسفيهها والنيل منها خارج الإطار الفكري والعلمي الحجاجي الذي يستهدف الوصول إلى الحق واتباعه. وقد كرس القرآن الكريم هذه الرؤية في سورة الكافرون التي تعتبر إعلانًا كونيًا متميزًا للتسامح واحترام الاختيارات العقدية للآخرين، فقال تعالى -: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

وفي الآية ١٠٨ من سورة الأنعام؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٠٨﴾.

٣- مجال الإرث التاريخي الاجتهادي: وهو مجال الحوار لتدبير الاختلاف بامتياز، ذلك أنَّ مساحة التوافق فيه واسعة وهو مجال متاح لكل أشكال التحليل والنقد والقبول والرد، ذلك أن التجارب البشرية هي تجارب تقترب أو تبتعد من الصواب، ولا يُمكن الاستناد إليها لمحاكمة المرجعية النظرية للدين أو المعتقد في أصله إلَّا بقدر بيان مدى قدرة الناس على تمثل هذه المرجعية؛ فلا يُمكن - مثلًا - القول بأنَّ الإسلام يدعو إلى الظلم؛ لأنَّ الخليفة (فلان) كان ظالمًا، فهنا خلط واضح بين المرجعية الاعتقادية النظرية والتطبيق التاريخي الذي قد يبتعد أو يقترب منها، ومن هنا كان انتقاد سلوك الخليفة مباحًا ومطلوبًا دون أن يعني ذلك بالضرورة انتقاد مرجعية الإسلام، فوجب في هذه الحال تحرير مجال الاختلاف.

استنادًا إلى ما سبق نؤكد على أن كثيرًا من المناظرات والحوارات تنتهي إلى الفشل نظرًا للخلط الذي يكتنفها نتيجة عدم تحرير مجال الاختلاف، وحيث إن المجالات الثلاثة التي حددناها تتطلب بالضرورة آليات متمايزة في الحوار باعتبار الهدف والمآل، فإن تحديد مجال الاختلاف قبل الشروع في تدبيره يعتبر أمرًا بالغ الأهمية للوصول إلى النتيجة المرجوة بأقل مجهود.

مجال الاختلاف	خصائصه	غاياته وأهدافه	أدواته وآلياته
القيم	الاشتراك في أصل القيمة والاختلاف في مفهومها نظرًا لاختلاف المرجعية	تعزيز حضور القيم والحوار في مفهومها	- الحوار - تعزيز المشترك
المعتقدات والأحكام	مجال الإيمان والقطعيات لا مجال فيه للتوافق لأن الحق لا يتعدد	الإقناع والاقتناع، أو الالتزام باحترام الاختيارات وحقها في الوجود	- الجدال للإقناع - قبول الاختلاف
التجارب التاريخية	مجال واسع للتوافق والنقد	التوافق على ترصيد الإيجابي من كل التجارب الاجتهادية ونقد السلبي منها	- الحوار - قبول النقد -الإنصاف - التوافق

البحث عن المشترك وحسن استثماره:

من مهارات تدبير الاختلاف سعي كل طرف إلى البحث عن نقط انطلاق مشتركة، وكذا الرغبة في الوصول إلى حد أدنى من التوافق، ومن شأن البحث عن المنطلقات المشتركة أن يعزز الثقة في الحوار عند كلا الطرفين، ويدفع في اتجاه استمرار الحوار والتعايش لمدة أطول، وقد وجدنا التنصيص على هذه المهارة في تدبير الاختلاف في توجيه القرآن الكريم لرسول الله ﷺ وهو يحاور أهل الكتاب،

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]. **وقوله تعالى:** ﴿ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ومن مقتضيات البحث عن المشترك لتعزيز الثقة بين المختلفين المتحاورين، وضعهما في نقطة انطلاق واحدة مع احترام حق كل طرف في أن ينظر إلى قناعته على أنها هي الحق، على أن تكشف الدلائل والبراهين أثناء الحوار قيمة وقوة موقف كل طرف، ويعزز هذا المنحى قوله تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٤ - ٢٦].

وقد كان سعي رسول الله ﷺ في البحث عن المشترك منطلقًا لبناء علاقة الثقة مع أهل الكتاب قبل دعوتهم إلى الإسلام، فقد حدثتنا كتب السيرة عن موقف رسول الله ﷺ وهو يرسل الجماعة الأولى من المسلمين إلى أرض الحبشة، قال ابن إسحاق «فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانته من الله تعالى ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم ممًا هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا

يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا ممَّا أنتم»[1].
ويستفاد من هذا النص أن الرسول ﷺ أرسل الصحابة مهاجرين إلى الحبشة بالنظر إلى المشترك الجامع بين رسالته ﷺ والنجاشي وهو الصدق ونبذ الظلم رغم اختلاف الدين.

وقد كان البحث عن المشترك وتعزيزه لبناء جسور الثقة مع المخالف هو المنهج الذي سلكه هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم وهم يجيبون عن أسئلة النجاشي حين سألهم عن دينهم الجديد، وعن قولهم في المسيح عليه السلام فلما سمع جوابهم قال كلمته المشهورة في كتب السير: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»[2]، ووفر لهم الحماية اللازمة من الجور والأذى والظلم، وكان ذلك سببًا في إسلامه، فلما تُوفِّي نعاه الرسول ﷺ وصلّى عليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «نعى النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي، ثم تقدم، فصفوا خلفه، فكبر أربعًا»[3].

ومن النماذج المضيئة في هذا السياق حوار رسول الله ﷺ مع الغلام النصراني عداس الذي جاءه بقطف من عنب وهو على مشارف الطائف يعاني من جور أهلها الذين أرسلوا صبيانهم وعبيدهم لإذايته بعد أن جاءهم طامعًا في نصرتهم، قال ابن إسحاق «ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في

---

(١) «سيرة ابن هشام»، (١/ ٢٨٠).

(٢) «سيرة ابن هشام»، (١/ ٢٩٠).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الجنائز).

وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس، قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه»[١].

مهارات في أساليب تبليغ الخطاب (التواصل الناجح):

- **وأولها القدرة على التحرر من الضغوط والانفعالات:** عن طريق التحلي بالثقة في النفس والحلم والأناة والصبر، وكلها خصال نفسية وجدانية تحرر الإنسان من الوقوع في الارتباك والعصبية وتمهد له الطريق ليتواصل بنجاح مع الآخرين، فقد قال رسول الله ﷺ لأحد الصحابة الكرام واسمه أشج «إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله، قال: ما هي بأبي وأمي أنت يا رسول الله؟ قال: «الحلم والأناة» فقال « خلقان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما؟ فقال «بل خلقان جبلك الله عليهما»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين

---

(١) «سيرة ابن هشام»، (٢/ ٤٩).

يحبها الله ورسوله»[1]. فقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ موجهًا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- ومن ذلك حسن الاستماع والإنصات إلى المخالف: وهو يعرض آراءه وأفكاره ومعتقداته واستيعاب منطقها الداخلي والأدلة التي يستند إليها عقلية كانت أو نقلية، ومن ذلك اللين في الكلام والمجادلة بالتي هي أحسن لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وقد كره الإسلام رفع الأصوات في المجادلة والحجاج وجعل غض الصوت من الآداب التواصلية الرفيعة التي ينبغي أن يربى عليها الأبناء، ووضعها في سياق التحذير من معيقات التواصل مع الناس فقال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

كما جعلها الإسلام من أرفع آداب التواصل التي حث عليها الصحابة رضي الله عنهم وهم يخاطبون الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن

(١) رواه أبو داود.

تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحجرات: ١ - ٣].

- ومن ذلك معرفة كل معيقات التواصل والحرص على تجنبها: وقد حفل القرآن الكريم ببيان هذه المعيقات والتنبيه إلى خطورتها، فحذر من السخرية والاستهزاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ ﴾ [الحجرات: ١١]**، وحذر من الغرور والكبر المفضي إلى التعصب والعدوان فقال تعالى:** ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]**. وقال تعالى:** ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥ ﴾ [يونس: ٧٥]**، وعرف رسول الله ﷺ الكبر بنكران الحق. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[1].**

- وحذر من السفه في القول والجهر بالسوء: فقال تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۝١٤٨ ﴾ [النساء: ١٤٨]**. وقال تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

---

(١) رواه مسلم.

وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، **وحذر من سوء الظن وبين عاقبته فقال تعالى:** ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يونس: ٣٦]. **وقال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١١].

ومن طرق التواصل الناجحة تنويع أساليب الخطاب:

حتى يكون أكثر أثرًا في السامع، وقد وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة في معرض الحجاج مع أهل الكتاب أو المشركين أساليب متعددة من الخطاب ومنها:

- أسلوب القصص وسرد أخبار الأولين للاعتبار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٢ - ٨٥]. **وقول رسول الله ﷺ: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[1].**

---

(١) رواه البخاري.

- أسلوب ضرب المثل للناس تقريبًا للإفهام، ومن ذلك قوله تعالى:
﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ [يس: ١٢ - ١٧]، **وقول رسول الله ﷺ:**
«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به»(1).

- أسلوب عرض الحجة العقلية بقياس الشاهد على الغائب في قضايا العقيدة لتثبيتها وترسيخها، ومن ذلك قوله تعالى:
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٦]، **وقول رسول الله ﷺ:**

«كنا جلوسًا عند النبي ﷺ؛ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن

(1) رواه البخاري.

استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا»[1].

- واستخدم أسلوب الترغيب والترهيب لشحذ الهمم على العطاء والمسارعة إلى فعل الخير والابتعاد عن السوء، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٥ - ٣٠]، وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه فتدعونه فلا يستجيب لكم»[2].

- واستخدم أسلوب المقارنة للتمييز بين الحق والباطل، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾ [الملك: ٢٢].

وغير ذلك من أساليب التواصل الفعالة مراعاة لقدرات الناس وتفاوت أفهامهم. ولذلك كان للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الوقع القوي في نفوس الناس، مما دفعهم إلى التصديق برسالة الإسلام، أو الإقرار بقوة حجته وتماسك منطقه ومواصلة الحوار مع أتباعه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

- ومن طرق التواصل الناجحة التحلي بالعقلية المبدعة القادرة على اقتراح البدائل في المواقف الصعبة والمختلفة؛ ذلك أن القدرة على انتقاد الآخرين وانتقاد الواقع يتقنها كل أحد، كما أن القدرة على استهلاك السائد من الأفكار والتجارب في حياة الناس في الأوقات الحرجة أمر لا يحتاج إلى كبير جهد، إلا أن العقلية المبدعة القادرة على اقتراح البدائل في المواقف المختلفة كلما وصل الأمر إلى الباب المسدود، أو اقتراح الأفكار الجديدة الكفيلة بتطوير النقاش كلما تقدم الحوار خطوات إلى الأمام، أو اتخاذ المواقف الصائبة والسريعة في أوقات الأزمات التي قد تظهر بين الفينة والأخرى بين الفئات المختلفة، هي العقلية القادرة على تدبير الاختلاف بشكل إيجابي، لأنها لا تكتفي باستخدام الأفكار والحلول التقليدية السائدة في الواقع بل تحاول توليد أفكار جديدة لتجاوز العقبات والحواجز التي قد تعترض طريق التواصل مع الآخرين، ويمكن أن يجد الباحث عن هذه العقلية المبدعة ضالته في القرآن الكريم وهو يقرأ سورة يوسف عليه السلام التي تعبر فضاءات الضيق والسعة في غير ما موقف: من بيت نبي الله يعقوب إلى الجب، ومن الجب إلى قصر عزيز مصر، ومنه إلى السجن، ومن السجن إلى مجلس الملك في ثنائية عجيبة تتخلل كل فضاء فيها قدرة يوسف البارعة على التواصل مع مختلف الشرائح الاجتماعية وفي مختلف أماكن وجودها، واقتراح أفكار جديدة تخلصه من الأزمات وتضعه في أرقى الدرجات والمهمات، فكلما ضاق الأمر اتسع، فانظر إلى علاقته مع إخوته وقد خرج معهم يلعبون قبل أن يلقوه في الجب وهي قضية أسرية، ثم حواره مع امرأة العزيز وكيف نجح في امتحان العفة وهي قضية اجتماعية أخلاقية، ثم حواره مع المسجونين لنشر عقيدة التوحيد

وهي قضية عقائدية تعبدية، ثم خروجه من السجن ومبادرته إلى اقتراح نفسه على الملك لتوليته خزائن مصر لقوته وأمانته وهي قضية اقتصادية سياسية، ثم حواره مع إخوته وهو وزير التموين آنئذ بمصر لكشف تيههم وضلالهم، وحواره مع أبويه بعد قدومهما إلى مصر فخرُّوا له سجدًا. وهي قضية تربوية، فكان في كل موقف يتحلى بعقلية مبدعة قادرة على كسر صمت العادة، فكان يحتل في كل موقف من المواقف التي مر بها قصب السبق والريادة.

كما يمكن أن نجد هذه العقلية التواصلية المبدعة في ما كان يشير به الصحابة رضوان الله عليهم على رسول الله ﷺ في المواقف الصعبة التي يستشيرهم فيها، مثل ما صنعوا في منزل جيش المسلمين في غزوة بدر، وحفر الخندق في معركة الأحزاب، ورأي أم سلمة في صلح الحديبية، وكلها مواقف أزمات تحتاج إلى عقليات مبدعة تقترح البدائل التي تجعل الاختلاف إيجابيًا وتنفي عن الناس الفرقة والنزاع.

كما نجد هذه العقلية المبدعة في اتفاقهم على خلافة أبي بكر بعد أن كاد النزاع يدب بين المهاجرين والأنصار، وكذا في تشاور أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في قضية قتال مانعي الزكاة وهو موقف غاية في الحساسية بعد وفاة رسول الله ﷺ، وجمع المصحف وهو أمر لم يقم به رسول الله ﷺ، ومن بعد ذلك كتابة المصاحف على عهد عثمان رضي الله عنه بعد أن اختلف القرَاء في الأمصار، وجمع السنة على عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بعد أن اختلفت الأمة حول صحة ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من الحديث وكثر الوضاعون

والدجالون، وغير ذلك من القضايا الجوهرية التي لو لم يحسن الناس تدبير الاختلاف فيها بوجود عقليات مبدعة قادرة على اقتراح البدائل والأفكار المفيدة لكان ذلك سببًا في تمزيق صفوفهم وانفراط عقدهم. وتلك تربية رسول الله ﷺ الذي كان يستشير الناس في القضايا الاجتهادية ويمنحهم حق التفكير والتعبير فتخرج من هذه المدرسة نخبة من كبار الصحابة القادرين على تدبير الاختلاف في المواقف الصعبة والحرجة.

- **ومن طرق التواصل الناجحة الاستعداد لقبول النقد:** ذلك أن توقع النقد من الآخرين أمر طبيعي في كل حوار يتم بين المختلفين، ولا يمكن أن يكون الحوار بدون نقد، ولا يمكن أن يكون النقد مفيدًا في عملية الحوار إلا إذا كان مبنيًا على أسس علمية ومنطقية دون أن يسقط في الطعن أو التجريح في الأشخاص والقناعات بدون حجة ولا برهان، وإذا كان النقد ملح الحوار بين المختلفين فإنه ينبغي أن يكون مكفولًا للجميع ومقبولًا من كلا الطرفين، ولئن كان من حق كل طرف أن يعتقد الحق في جانبه، فإن ذلك لا يمكنه أن يصادر حق الآخر في انتقاد آرائه وقناعاته، لأنه بكل بساطة لا يرى الحق والصواب في صف الآخر من وجهة نظره، وبالتالي لا يعتبر نقده لها خروجًا عن الحق والصواب ما دام الأمر في إطار النقاش والحوار والبحث عن الحقيقة التي لا يمكن أن تتعدد، فهي في قضايا الاعتقاد والمعاذ موجودة بالضرورة لدى أحد الطرفين، ولكنها في قضايا المعاش مجال للاتفاق والتوافق. ولا يمكن أن ينخرط في الحوار كقيمة من قيم تدبير الاختلاف من لا يملك الاستعداد لقبول النقد في كل قناعاته وأفكاره حتى وإن كان جارحًا في بعض

الأحيان، ومن ثم يمتلك القدرة للدفاع عنها بقوة الحجة والمنطق بعيدًا عن التعصب والانغلاق.

وقد وجدنا هذا السلوك في سيرة رسول الله ﷺ في غير ما موقف وهو النبي المرسل بالوحي الصادق المصدوق، فقد كان عليه الصلاة والسلام يصغي إلى المخالفين من أهل الكتاب والمشركين، وكان صحابته رضوان الله عليهم وهم يحضرون بعض هذه الحوارات يستشيطون غضبًا ويهمون بالفتك بمن يرون في كلامه أو تصرفاته إخلالًا بمقام النبوة وتنقيصًا من مكانة رسول الله ﷺ، إلا أنه كان ينهاهم عن ذلك ويصغي بسمعه لكلام المنتقدين بل ويصبر على أذاهم أحيانًا، ثم يبلغهم الدعوة بأسلوب غاية في الإقناع، وكثيرًا ما كان ذلك سببًا في دخول الناس إلى الإسلام، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لمَّا كان يوم حنين، أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم، ومع النبي ﷺ عشرة آلاف من الطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذٍ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه، فقال: «**يا معشر الأنصار!**». قالوا: «لبيك يا رسول الله! أبشر نحن معك»، ثم التفت عن يساره، فقال: «**يا معشر الأنصار!**». قالوا: «لبيك يا رسول الله! أبشر نحن معك»، وهو على بغلة بيضاء فنزل، فقال: «**أنا عبد الله ورسوله**»؛ فانهزم المشركون، فأصاب يومئذ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يُعطِ الأنصار شيئًا، فقالت الأنصار: «إذا كانت شديدة فنحن نُدعى، ويُعطى الغنيمةَ غيرنا!»، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال: «**يا معشر الأنصار! ما حديث بلغني عنكم؟!**». فسكتوا، فقال: «**يا معشر الأنصار! ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون**

برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟!». قالوا: «بلى»، فقال النبي ﷺ: «لو سلك الناس واديًا وسلكتِ الأنصار شِعبًا لأخذت شعب الأنصار!»، فقال هشام: «يا أبا حمزة، وأنت شاهد ذاك؟»، قال: «وأين أغيب عنه»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم، فقال رجل من الأنصار: «والله إنَّها لقسمة ما أُريد بها وجه الله»، قلت: «أما لأقولنَّ للنبي ﷺ»، فأتيته وهو في أصحابه فساررته، فشق ذلك على النبي ﷺ وتغيَّر وجهه وغضب، حتى وددت أنِّي لم أكن أخبرته، ثم قال: «قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر»[2].

تلكم أهم القواعد التي تضمن تواصلًا ناجحًا مع المخالف بما يضمن الوصول إلى نسيج من القيم المشتركة قوامها الاحترام المتبادل ثم السعي الدائم والمستمر إلى توسيع دائرة هذا النسيج المشترك ليشمل قيم التساكن والتعايش وقبول الاختلاف والتنوع، ثم استمرار الحوار للبحث عن الحق قصد اتباعه. وتلك غايات الإسلام بمختلف شرائعه التي نزلت بالتدريج عبر العصور المختلفة.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٤) المنهجية التربوية لبناء القيم والمهارات لدى المتدربين:

إذا ما تعرفنا مفهوم الاختلاف والقيم الحاكمة لتدبيره والمهارات الضرورية لذلك، فإننا في حاجة إلى توضيح المنهجية التربوية اللازمة لبناء وترسيخ هذه القيم في نفوس الناشئة، وتنمية المهارات التي تجسد ذلك عمليًا في سلوكاتهم، ونؤكد في بداية حديثنا المختصر والمركز عن هذه المنهجية التي بسطناها بتفصيل في كتابنا «**القيم الإسلامية في المنظومة التربوية**» والذي صدر عن منظمة الإيسيسكو سنة ٢٠٠٨، أن الاشتغال بالتربية على القيم باعتبارها قناعات وجدانية داخلية يعتبر من المجالات التي تتطلب منهجية محكمة في الإعداد ونَفَسًا طويلًا في الإنجاز، وقدرة على تتبع المؤشرات السلوكية القابلة للملاحظة والدالة على وجود وتطور القيمة، وتحتاج كل قيمة يراد بناؤها وترسيخها لدى الناشئة إلى تصميم تربوي يراعي من جهة طبيعة القيم والدوائر التي تتحرك فيها في مختلف مراحل تطورها، وكذا الأبعاد الإدراكية والنفسية والاجتماعية للمتلقي، وذلك ضمانًا لفرص النجاح في نقل القيم وتطوير المهارات المرتبطة بها، وقبل أن نعرض التطبيقات العملية لهذه المنهجية التربوية على قيم تدبير الاختلاف نقدم فيما يلي مرتكزاتها النظرية الأساسية[١].

---

(١) تناولنا هذه القضايا بصفة موسعة في كتابنا: «القيم في المنظومة التربوية»، منشورات منظمة الإيسيسكو، (٢٠٠٨ م).

الدوائر الأربع للقيمة:

«يتسع مجال القيمة وتتطور مستوياتها بتطور النضج العقلي والعاطفي والنفسي للمتعلم، كما تتطور بتطور احتكاكه مع المحيط من الأسرة إلى الأقران فالوسط الاجتماعي العام، ثم الاهتمامات الوطنية والإنسانية الكونية. وإن البناء التربوي للقيمة في نفوس المتعلمين يقتضي ضبط هذه المجالات والمستويات لنعرف الأولويات في عملية الإدماج فنبدأ بالمؤشرات التي تتضمنها الدائرة الأولى قبل الانتقال إلى المؤشرات الدالة على باقي الدوائر الأخرى.

وهكذا يمكننا أن نتحدث عن أربع دوائر للقيمة:

١- **الدائرة الذاتية:** وفيها تظهر القيمة في شكل قناعات فردية للشخص التي تضبط علاقته بخالقه وبنفسه مثل قيمة: الصدق والإيمان والتقوى والإخلاص، وغيرها من القيم التي يحرص الشخص على التمسك والالتزام بها أولا في نفسه قبل أن يدرك أهمية إظهار تجلياتها وأثرها في سلوك خارجي جماعي.

٢- **الدائرة الاجتماعية:** وفيها تتطور القيم لتطبع سلوك الفرد في علاقاته العامة ولا تظهر آثارها إلا من خلال التفاعل مع الغير وتنمى هذه القيم في السياق الجماعي والاحتكاك بالآخر، ومن ذلك القيم التي تأخذ صيغة التفاعل كالتراحم، والتعاون، والتواضع ... وغيرها من القيم التي يعتبر السلوك داخل الجماعة معيارًا لوجود هذه القيم أو عدم وجودها في قناعات الأفراد، كما أن سلامة نسيج

العلاقات الاجتماعية يتوقف على انتشارها في سلوك وتصرفات أكبر عدد من الناس.

٣- **الدائـــرة الوطنيـــة:** وهي دائرة تتجاوز فيها القيم العلاقات الاجتماعية الناتجة عن الاحتكاك مع المحيط المحدود والمباشر إلى الإحساس بالقواسم المعنوية المشتركة التي تجمع الجماعات المتباعدة وتتجلى هذه القواسم بالأساس في اللغة والدين والانتماء العرقي والرصيد التاريخي والانتماء الجغرافي، ومن ذلك قيم حب الوطن والافتخار به والاعتزاز بالمقومات الحضارية، والتضحية من أجل حماية الخصوصيات الدينية والثقافية، وتعتبر هذه القيم أساسًا لبناء الكيانات وضمانًا لاستمرار وجودها.

٤- **الدائـــرة الإنســـانية الكونيـــة:** وهذه الدائرة تتجاوز فيها القيمة حدود العلاقات الاجتماعية والخصوصيات الحضارية لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم، لتنفتح على البعد الكوني لتصبح معايير ومقاييس للتعامل مع الآخرين باعتباراتهم الإنسانية التي يشترك فيها كل الناس بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية والحضارية، كالعدل، والحرية، والمساواة في الكرامة الإنسانية، والإنصاف، والتعارف، والتسامح، والتعايش والتساكن، وتنمى هذه القيم في سياق الاحتكاك العلمي والثقافي والاجتماعي بالأمم والشعوب الأخرى بصفة مباشرة، أو غير مباشرة»[1].

---

(١) خالد الصمدي «القيم في المنظومة التربوية»، منشورات منظمة الإيسسكو، (٢٠٠٨ م)، (ص/ ٣٨، وما بعدها) بتصرف.

فكيف تتدرج قيم تدبير الاختلاف في هذه الدوائر الأربع حتى تشكل مصفوفة متكاملة؟ وما هي المؤشرات الدالة على تطورها وارتقائها على حد تعبير الدكتور محمد عبد اللطيف خليفة[1]؟

علاقة القيم بالمهارات السلوكية:

«نعتبر من الزاوية التربوية أن المهارات السلوكية بمختلف تجلياتها هي مؤشرات دالة على وجود وتطور القيمة، لأن القيم في حد ذاتها هي قناعات وجدانية داخلية يتوقف رصدها وتتبع تطورها على ظهور مؤشرات خارجية متكررة في مواقف مختلفة، وكلما كثرت المؤشرات **وظهرت في مواقف مختلفة ومتكررة كلما قام ذلك دليلاً على وجود مستوى متطور من القيمة لدى الشخص والعكس صحيح»**، وتكمن خبرة المربي في قدرته على صياغة وبناء مصفوفة القيم المراد ترسيخها في وجدان المتلقي، ثم صياغة المؤشرات التي تظهر في شكل مهارات سلوكية قابلة للملاحظة وصياغتها في شكل شبكة متنوعة ومتدرجة المستويات قصد استعمالها في رصد وتتبع مستويات تطور القيمة لدى المتعلمين بعد كل نشاط تربوي أو تعليمي ينجزه ....، وهو ما سنقوم به في بناء مصفوفة القيم.

ولبناء مصفوفة القيم وشبكة المؤشرات الدالة عليها نحتاج إلى الخطوات التدريبية الآتية:

- تحديد الهدف المركزي وفق الإطار النظري السالف الذكر وهي في

(١) انظر بحثه القيم بعنوان «ارتقاء القيم»، منشورات سلسلة عالم المعرفة، (عدد/ ١٦٠)، (شهر أبريل ١٩٩٢ م).

موضوعنا (حسن تدبير الاختلاف).

- تحديد القيم المرتبطة به.
- تحديد مؤشرات دالة (قابلة للملاحظة والرصد) على كل قيمة من هذه القيم.
- تتنوع المؤشرات إلى معرفية ومهارية وانفعالية.
- بناء الأنشطة التعليمية المناسبة للفئات العمرية المختلفة من أجل رصد وتتبع هذه المؤشرات.

فائدة بناء مصفوفة القيم والمؤشرات المرتبطة بها:

تتجلى فائدة بناء مصفوفة القيم وفق الخطوات التي حددناها سابقًا، في تمكين المشتغلين ببناء الأنشطة التدريبية من بناء برنامج متدرج للتربية على القيم وفق أهداف جزئية محددة و متدرجة بتدرج المؤشرات التي تشتمل عليها المصفوفة من البسيط إلى المركب، والتي تأخذ بعين الاعتبار الفئات العمرية للمتعلمين وتطور مستواهم العقلي والنفسي.

وإذا تبين من خلال ما سبق أن القيم لا يمكن تتبع ترسخها في وجدان المتعلم إلا من خلال مؤشرات خارجية قابلة للملاحظة والتي على أساسها يتم التقويم، فإن هذا المعطى يقتضي من المدرس أن يكون على دراية بقائمة موسعة من المؤشرات التي يبني عليها تقويمه من خلال تتبع ظهورها الطبيعي في سلوكات المتعلمين التعبيرية والحسية والحركية وردودهم الانفعالية في مواقف تعليمية مختلفة ومعارفهم المرتبطة بالقيمة. وفي هذا السياق تنتظم المؤشرات التفصيلية في مجالات ثلاثة كبرى:

١- السلوكات الإيجابية:

فالسلوك الإيجابي مع النفس ومع الأقران ومع المحيط الاجتماعي العام دليل على وجود قيمة معينة في وجدان وقناعات المتعلم وجهت سلوكه إلى فعل الخير ولجمته عن الشر، ويشترط في هذا السلوك لكي يعتبر مؤشرًا طبيعيًا صادقًا[1] أن يتكرر لمرات عديدة وفي مواقف مختلفة، مع التحرر ما أمكن من المؤثرات الخارجية[2]،

---

(١) يكون المؤشر طبيعيًّا حينما يصدر عن المتعلم بدون تدخل خارجي ويكون اصطناعيًا حينما يكون رد فعل آني استجابة لمؤشر خارجي كتوجيه المدرس أو الآباء أو غيرهم، والمؤشر يبدأ اصطناعيًا أي خاضعًا للتوجيه أثناء سعي الموجهين إلى تدريب المتعلمين على قيم معينة لكنه ينبغي أن يتحول بالتدريج إلى مؤشر طبيعي والذي على أساسه يتم التقويم.

(٢) لن تصبح القيمة قيمة راسخة في نفس الإنسان إلا إذا تكرر حدوثها في سلوكه وأصبحت سجية وجبلة لا تفارقه، فلا يقبل من الإنسان أن يكون صادقًا حينًا وكاذبًا حينًا، كما لا يقبل منه أن يكون عادلًا وظالمًا في مواقف مختلفة ومن هنا نفهم قول رسول الله ﷺ «الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب صدّيقًا»، وهذا اللقب لا يصل إليه صاحبه إلا بالمداومة والاستمرار والتعود، وقد تلتصق بالشخص الصفة المعاكسة «الكذاب» بالمداومة والاستمرار والتعود أيضًا كما هو وارد في الجزء الآخر من الحديث «والرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب كذابًا»، يقول الدكتور أحمد مهدي عبد الحليم: «ومن الخصائص الأساسية في القيمة تكرار حدوثها بصفة مستمرة، فمن يصدق مرة أو مرات لا يوصف بأنه فاضل في سلوكه، وإنما تتأكد القيمة وتبرز الفضيلة الخلقية في سلوك الإنسان إذا تكرر حدوثها بصورة تجعلها عادة مستحكمة أو جزءًا من النسيج العقلي والسلوكي لصاحبها وعنوانا لهويته».
ومن هنا كان تنديد القرآن بأولئك الذي لا يثبتون على طريق الهدى والحق، ويتراوح سلوكهم بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾.
وكان تنديد القرآن بالنموذج البشري الذي لا يستقيم على فعل الخير ويؤدي منه القليل ثم يقعد عن مواصلته أو يكف عنه ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾، أي ضعف عن الاستمرار في العطاء أو كف عنه مع توفر مقوماته.
ولذلك كانت المجاهدة والمثابرة لحمل النفس على استمرار التمسك بالقيم الإسلامية حتى ترقى من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان، فيعبد الإنسان الله كأنه يراه، وتلك أحلى ثمرات القيم الإسلامية التي لا تتحقق إلا بالتكرار والاستمرار والاستقرار.

مثال تطبيقي:

فقيمة المحافظة على النظام مثلًا يمكن تقويمها من خلال ملاحظة تكرار جملة سلوكات (مؤشرات دالة) مثل وصول التلميذ إلى المؤسسة التعليمية في الوقت المحدد / التناسق في لباسه /ترجيل شعره وحرصه على النظافة / ترتيب دفاتره وأدواته على الطاولة في الفصل / وقوفه في الصف لينتظر دوره في الأنشطة الجماعية / عدم استعمال ممتلكات غيره بدون استئذان / طلب الإذن من المدرس في القيام بفعل معين / انتظار دوره لأخذ الكلمة أثناء النقاش أو الحوار داخل الصف...) هذه وغيرها تقوم مؤشرات دالة على تمكن قيمة المحافظة على النظام من قناعات المتعلم.

٢- الانفعال المتوازن:

يواجه المتعلمون مواقف متعددة تفرز ردود أفعال إيجابية أو سلبية تشكل مؤشرات دالة على وجود قيم معينة لدى المتعلم، ويعتبر المجال الوجداني الانفعالي من المجالات الخصبة الغنية بمؤشرات التقويم، ولذلك ينبغي رصد هذه الردود الانفعالية في مختلف الأنشطة والمواقف التعليمية واستثمارها في تقويم تطور منظومة القيم لدى المتعلمين.

مثال تطبيقي:

قيمة قبول النقد واحترام الرأي الآخر مثلًا (وهي من القيم اللصيقة بحسن تدبير الاختلاف) يتم رصدها في نشاط تعليمي (ندوة علمية في موضوع مثير للمتعلمين يفرز بالضرورة آراء مختلفة ومتعددة) يفرز هذا الموقف التعليمي انفعالات تشكل مؤشرات دالة على مدى وجود قيمة قبول النقد واحترام الرأي الآخر، فعرض الرأي الشخصي بنبرة هادئة / واستخدام عبارات مقدرة للرأي المخالف / وإصدار أحكام عامة نسبية خالية من التعميم والإطلاق / والإنصات إلى الآخر وهو يعرض رأيه / وإبداء الاستعداد للحوار / وعدم مقاطعة الآخرين وهم يعرضون حججهم وانتقاداتهم / وتثمين الجوانب الإيجابية في آراء الآخرين والتعليق بأدب على السلبي منها / والثقة في النفس وعدم الاضطراب أثناء سماع النقد /......) هذه وغيرها إذا تكررت في مواقف مختلفة ومتعددة كانت دليلًا على وجود قيمة قبول النقد واحترام الرأي الآخر لدى المتعلمين وعكسها صحيح. ويمكن أن ينظم المدرب نشاطًا تعليميًا من هذا القبيل يكون الهدف منه تشخيص قيمة معينة لدى عينة من المتعلمين، من خلال رصد وتتبع ظهور مؤشراتها الانفعالية في سلوكاتهم. كما سنبين في بطائق تصميم الأنشطة التدريبية.

٣- المعارف الصحيحة:

إن خريطة المفاهيم التي يمتلكها المتعلم والتي بناها من خلال المرور بخبرات تربوية تعليمية متعددة تقوم دليلًا بدورها على مستوى تطور منظومة القيم لديه، ومعلوم أن المفاهيم التي يمتلكها المتعلم إما أن تكون خاطئة فتحتاج إلى تصحيح، أو صحيحة فتحتاج إلى

تثبيت وتعزيز، أو أن تكون هذه المفاهيم غائبة فتحتاج إلى بناء جديد، ولكل مهمة من هذه المهمات استراتيجية تربوية محددة للتدخل من طرف المدربين، إلا أننا ونحن نتحدث عن تقويم القيم ندرك أن امتلاك المتعلم للمفاهيم الصحيحة المتعلقة بالقيم تشكل مؤشرات دالة على نضج منظومة القيم لديه على المستوى المعرفي ومن هذه المؤشرات المعرفية على سبيل المثال: قدرة المتعلم على إيراد تعريف سليم لقيمة العدل / استحضاره لنصوص قرآنية أو حديثية أو فكرية داعمة لقيمة العدل / إتيانه بنماذج وأمثلة من الشخصيات العادلة / قدرته على استحضار نماذج وأمثلة ومواقف يتجلى فيها العدل / انتقاده لسلوكات ومواقف يتجلى فيها الظلم / استحضاره لمؤلفات وكتب ومقالات وأقراص معلوماتية ومواقع على شبكة الإنترنت تتحدث عن العدل / إنتاج إبداع تربوي (قصة قصيرة - مقال- نص شعري - نص مسرحي يمجد العدل....).

كل هذه المعارف تقدم مؤشرات على نضج قيمة العدل (مثلًا) في وجدان المتعلم، وهي مؤشرات قابلة للملاحظة في جل الأنشطة التعليمة.

إن تمكن المدربين من بناء شبكة واسعة من مؤشرات القيم المهارية والانفعالية الوجدانية والمعرفية ورصدها وتتبعها في سلوكات المتعلمين يمكن من الحصول على نتائج جيدة في تشخيص واقع منظومة القيم لدى المتعلمين ومن ثم وضع استراتيجيات منظمة وواعية للتدخل من أجل بناء وتطوير هذه المنظومة[1].

---

(١) خالد الصمدي «القيم في المنظومة التربوية»، منشورات منظمة الإيسسكو، (٢٠٠٨ م)، (ص/ ٩١، وما بعدها بتصرف).

مصفوفة القيم ومؤشراتها (قيم تدبير الاختلاف أنموذجًا)

الهدف	القيم الحاكمة	المؤشرات الظاهرة الدالة على وجود القيمة	
تنمية القدرة على تدبير الاختلاف	الحرية	المؤشرات المعرفية	- يعرف الحرية انطلاقا من مرجعيته الثقافية والدينية. - يستحضر نصوصا مرجعية تدل على الاعتراف بالحرية والسعي إلى ضمانها وترسيخها. - يستحضر أمثلة تطبيقية على حماية الحرية من تاريخه وحضارته. - يمتلك رصيدا من النصوص والكتابات المعاصرة التي تتحدث عن الحرية في الثقافات المختلفة.
		المؤشرات المهارية	- يحدد نطاق الحرية انطلاقا من معايير مرجعيته الثقافية والدينية. - يميز السلوكات والمواقف التي تنسجم ومفهوم الحرية الذي يتبناه. - يصنف السلوكات والمواقف المختلفة المتعلقة بالحرية ويحدد موقفه منها. - ينتقد السلوكات والمواقف المناقضة للحرية.
		المؤشرات الانفعالية	- يتعاطف مع كل من تعرض إلى مصادرة حريته بمختلف أشكالها. - يبرز أهمية الإحساس بالحرية في التحفيز إلى الابتكار والإبداع والمبادرة. - يبدي الاستعداد للمشاركة في كل المبادرات الهادفة إلى تعميق الحريات.

<table>
<tr>
<td rowspan="4">تنمية القدرة على تدبير الاختلاف</td>
<td rowspan="3">قبول الاختلاف</td>
<td>المؤشرات المعرفية</td>
<td>- يعرف مفهوم قبول الاختلاف انطلاقًا من مرجعيته الثقافية والدينية.
- يستحضر نصوصًا مرجعية تدل على الإقرار بالاختلاف بمختلف تجلياته الطبيعية.
- يستحضر أمثلة تطبيقية على قبول الاختلاف من تاريخه وحضارته.
- يمتلك رصيدًا من النصوص والكتابات المعاصرة التي تتحدث عن الحق في الاختلاف وقبوله في الثقافات المختلفة.</td>
</tr>
<tr>
<td>المؤشرات المهارية</td>
<td>- يحدد مقومات الاختلاف والتنوع الطبيعي انطلاقًا من معايير مرجعيته الثقافية والدينية.
- يصنف مظاهر الاختلاف الطبيعي من خلال مظاهر بدنية واجتماعية وعقائدية.
- يميز بين مظاهر الاختلاف الطبيعي والاختلاف غير الطبيعي من خلال مواقف وسلوكات.
-ينتقد السلوكات والمواقف المناقضة لقبول الاختلاف.</td>
</tr>
<tr>
<td>المؤشرات الانفعالية</td>
<td>-يتعاطف مع كل من تعرض إلى مصادرة حقه في الاختلاف.
-يبرز أهمية الإحساس بقبول الاختلاف في إثراء الحضارة الإنسانية بروافد وتجارب متنوعة ومتكاملة.
- يبدي الاستعداد للمشاركة في كل المبادرات الهادفة إلى تعميق الخصوصيات الثقافية والدينية والفكرية دون تعصب أو إقصاء.</td>
</tr>
<tr>
<td>التعارف</td>
<td>المؤشرات المعرفية</td>
<td>- يعرف قيمة التعارف انطلاقًا من مرجعيته الثقافية والدينية.
- يستحضر نصوصًا مرجعية تدل على أهمية المعارف في إشاعة روح التضامن والتعاون.
- يستحضر أمثلة تطبيقية على الترغيب في التعارف مع سائر الأمم والشعوب من تاريخه وحضارته.
- يمتلك رصيدًا من النصوص والكتابات المعاصرة التي تتحدث عن أهمية التعارف بين الأجناس والثقافات المختلفة.</td>
</tr>
</table>

		المؤشرات المهارية	- يحدد أصول التعارف وقواعده انطلاقًا من معايير مرجعيته الثقافية والدينية. - يصنف السلوكات والمواقف التي تعزز التعارف بين الأجناس والثقافات. - يميز بين السلوكات والمواقف المختلفة الداعمة للتعارف وما يناقضها من السلوكات والمواقف الداعية إلى العزلة والتنافر. -ينتقد السلوكات والمواقف المناقضة للتعارف والتواصل البناء.
		المؤشرات الانفعالية	- يتعاطف مع كل دعوة إلى التعارف والتواصل البناء. - يبرز أهمية الإحساس بالتعارف في تبادل التجارب والخبرات. - يبدي الاستعداد للمشاركة في كل المبادرات الهادفة إلى تعميق التعارف والتواصل بين الأفراد والجماعات.
تنمية القدرة على تدبير الاختلاف	الحوار	المؤشرات المعرفية	- يعرف الحوار انطلاقًا من مرجعيته الثقافية والدينية. - يستحضر نصوصًا مرجعية تدعو إلى الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن. - يستحضر أمثلة تطبيقية على دعم الحوار من تاريخه وحضارته. - يمتلك رصيدًا من النصوص والكتابات المعاصرة التي تتحدث عن الحوار بين الثقافات المختلفة.
		المؤشرات المهارية	- يحدد مجالات الحوار وقواعده انطلاقًا من معايير مرجعيته الثقافية والدينية. - يصنف السلوكات والمواقف التي تدعم الحوار. - يميز بين السلوكات والمواقف المختلفة المتعلقة بدعم الحوار وما يناقضها. -ينتقد السلوكات والمواقف المناقضة للحوار.
		المؤشرات الانفعالية	-يتعاطف مع كل من تعرض إلى مصادرة حقه في التعبير عن رأيه وفق قواعد الحوار البناء. -يبرز أهمية الحوار في عرض الأفكار والآراء المختلفة والتوصل إلى المشترك. - يبدي الاستعداد للمشاركة في كل المبادرات الهادفة إلى تدعيم الحوار ونبذ العنف والإقصاء.

<table>
<tr><td rowspan="5">تنمية القدرة على تدبير الاختلاف</td><td rowspan="3">التعايش</td><td>المؤشرات المعرفية</td><td>- يعرف مفهوم التعايش انطلاقًا من مرجعيته الثقافية والدينية.
- يستحضر نصوصًا مرجعية تدعو إلى التعايش بين الأعراق والأجناس والمعتقدات.
- يستحضر أمثلة تطبيقية للتعايش من خلال تاريخه وحضارته.
- يمتلك رصيدًا من النصوص والكتابات المعاصرة التي تتحدث عن التعايش الثقافات المختلفة.</td></tr>
<tr><td>المؤشرات المهارية</td><td>- يحدد قواعد التعايش انطلاقًا من مرجعيته الثقافية والدينية.
- يحدد السلوكات والمواقف التي تنسجم ومفهوم التعايش.
- يميز بين السلوكات والمواقف المختلفة المتعلقة بالتعايش وما يناقضها من السلوكات والمواقف.
-ينتقد السلوكات والمواقف التي تدعو إلى الإقصاء والنفور من الآخر.</td></tr>
<tr><td>المؤشرات الانفعالية</td><td>-يتعاطف مع كل صور التعايش السلمي.
- يبرز أهمية الإحساس بالتعايش مع الآخر في نسج علاقات التناصح والحوار والتعاون.
- يبدي الاستعداد للمشاركة في كل المبادرات الهادفة إلى تعميق التعايش بين الأفراد والجماعات.</td></tr>
<tr><td rowspan="2">الإنصاف</td><td>المؤشرات المعرفية</td><td>- يعرف مفهوم الإنصاف انطلاقًا من مرجعيته الثقافية والدينية.
- يستحضر نصوصًا مرجعية تدل على حق الآخر في الإنصاف.
- يستحضر أمثلة تطبيقية على حماية حق الآخر في الإنصاف من تاريخه وحضارته.
- يمتلك رصيدًا من النصوص والكتابات المعاصرة التي تتحدث عن أهمية الإنصاف في إشاعة نفس الثقة بين الناس.</td></tr>
<tr><td>المؤشرات المهارية</td><td>- يحدد قواعد الإنصاف انطلاقًا من معايير مرجعيته الثقافية والدينية.
- يحدد السلوكات والمواقف الدالة على الإنصاف.
- يميز بين السلوكات والمواقف المختلفة الداعمة للإنصاف وما يخالفها من المواقف والسلوكات الدالة على الظلم.
-ينتقد السلوكات والمواقف المناقضة للإنصاف مع الذات ومع الآخر.</td></tr>
</table>

تنمية القدرة على تدبير الاختلاف		المؤشرات الانفعالية	-يتعاطف مع كل من تعرض إلى الظلم والاعتداء بمختلف أشكاله. يبرز أهمية الإحساس بالإنصاف في تعزيز الشعور بالثقة والأمان بين الناس. - يبدي الاستعداد للمشاركة في كل المبادرات الهادفة تدعيم مبادئ العدل والإنصاف.
	الانفتاح	المؤشرات المعرفية	- يعرف مفهوم الانفتاح انطلاقًا من مرجعيته الثقافية والدينية. - يستحضر نصوصًا مرجعية تدعو إلى الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى. - يستحضر أمثلة تطبيقية تدل على الانفتاح على الآخر من تاريخه وحضارته. - يمتلك رصيدًا من النصوص والكتابات المعاصرة التي تتحدث عن أهمية الانفتاح في تعزيز التواصل وتبادل التجارب والخبرات بين الثقافات المختلفة.
		المؤشرات المهارية	- يحدد نطاق الانفتاح من معايير مرجعيته الثقافية والدينية. - يصنف السلوكات والمواقف التي تنسجم ومفهوم الانفتاح. - يميز بين السلوكات والمواقف المختلفة التي تعزز الانفتاح وفق قواعده وضوابطه، وما يناقضها ممًا يؤدي إلى الانحلال والذوبان. - ينتقد السلوكات والمواقف المناقضة للانفتاح والداعية إلى التعصب والانغلاق.
		المؤشرات الانفعالية	- يتعاطف مع كل المواقف الداعمة للانفتاح على الآخر والاستفادة من خبراته وتجاربه. - يبرز أهمية الانفتاح في اكتساب التجربة وإثراء الفكر والثقافة. - يبدي الاستعداد للمشاركة في كل المبادرات الهادفة إلى تعميق الانفتاح على الآخر وفق قواعده وضوابطه.

معرفة مراحل تطور القيمة لدى المتعلم: (سلم المراقي الستة):

كما تتطور المعارف والمهارات بالتدريج تتطور القيم لدى المتعلمين، ومعرفة مراحل تطور القيم يعتبر مدخلًا هامًا لبناء الأنشطة التعليمية المتعلقة بالقيم، كما يعتبر عاملًا مهمًا في التقويم وخاصة التقويم المرحلي، ويكفي أن نعرف أن لكل مرحلة من مراحل تطور القيمة مؤشرات دالة يشكل بروزها وظهورها لدى المتعلم إيذانًا للمدرب بالانتقال الطبيعي إلى المرحلة الموالية، وإذا غابت المؤشرات الدالة أو كانت ضعيفة فإن ذلك لا يسمح بالانتقال إلى المرحلة الموالية إلا ببرمجة مزيد من الأنشطة التعليمية والتربوية حتى تبرز المؤشرات الدالة، وإلا كان الانتقال قسريًا وغير طبيعي ممًا يهدد المشروع برمته بالفشل.

ويمكننا أن نحدد مراحل تطور القيم لدى المتعلمين في ما سميناه بسلم المراقي الستة:

١- أولها الانتباه: وفي هذه المرحلة يشعر المتعلم بمفهوم جديد يعرض عليه إما في صورة أو قصة أو مشهد سمعي بصري، أو أرقام إحصائية وبيانية، أو غيرها من الوسائل التعليمية باعتماد المدرب على طرق مشوقة تستهدف إثارة انتباه المتعلمين وحصر أذهانهم في قضية بعينها وفي هذه المرحلة يعتبر (صمت المتعلمين أثناء عرض المقطع التعليمي / طلبهم عرض المشهد لمرة ثانية / تأملهم في محتوى الوثيقة المعروضة بتركيز النظر/ تحديدهم للقضايا المثيرة

أو المشكلة في النص من خلال علامة مميزة (وضع خط أو الإشارة بلون مغاير...) / تذكرهم لمعطيات سابقة وربطها بالقضية الجديدة المعروضة / مبادرتهم إلى الإجابة عن أسئلة يعرضها المدرس... كل ذلك يعتبر مؤشرا دالا على تمكن المدرب من إثارة اهتمام المتعلمين.

ويتوق المشرف على النشاط التعليمي إلى ظهور أكبر عدد من المؤشرات، ويتوقف نجاحه في ذلك على قدرته إبداع المحتوى و اختيار الطريقة والوسيلة المناسبة للموقف التعليمي، حيث يفترض في ذلك مراعاة القرب من واقع المتعلمين واهتماماتهم، ومعلوم أن ظهور أكبر عدد من المؤشرات التي ذكرناها يعطي للمدرس الاطمئنان والأمان في الانتقال إلى المرحلة الموالية بضمانات نجاح أكبر، كما يحفز المتعلمين إلى مزيد من العطاء في المرحلة الموالية وهي مرحلة الاهتمام.

ونشير هنا إلى أننا لا نقصد بظهور المؤشرات في صفوف المتعلمين ظهورها عند كل متعلم على حدة، وإنما نقصد بذلك ظهورها بإجمال لدى جماعة الصف من خلال عينة تمثيلية معتبرة من أماكن مختلفة (أمام - وسط - خلف) ومن جنس مختلف (ذكور - إناث) ومن مستويات مختلفة (متوسط - ضعيف- متفوق) عدد كاف لا يقل عن خمس الفئة المستهدفة.

٢- **الاهتمام:** وهي المرحلة التي ينتقل معها المتعلم بمساعدة المدرس وبمشاركته زملاءه في الصف إلى الإسهام في بلورة معطيات جديدة حول القيمة قد لا تكون موجودة بالضرورة في الوثيقة الأصلية المعروضة أثناء مرحلة إثارة الانتباه فيطرح أسئلة جديدة حولها /

ويطلب معلومات إضافية عنها / ويصنفها في سياق معين/ ويقارن بينها وبين ما يضادها ويناقضها / ويميز بينها وبين غيرها / ويطعمها بمعلومات إضافية من إبداعه وإنشائه كأن يستحضر مواقف أو قضايا مماثلة / ويبدي رأيًا خاصًا في بعض قضاياها. وكل هذه مؤشرات يرصدها المشرف على النشاط التعليمي تدل على أن الفئة المستهدفة انتقلت من مجرد الانتباه إلى **الاهتمام** بالقيمة من خلال القضية أو القضايا المعروضة عليه في النشاط التعليمي، وذلك بإسهامه في إدماج قضاياها مع ما يمتلك من معطيات ومعلومات وآراء ومهارات.

٣- التفاعل: وهي مرحلة تظهر فيها مؤشرات جديدة أرقى من سابقتها وتتعلق بالانخراط في تحليل ومناقشة وتفسير القيمة وتجلياتها العملية في الواقع إيجابًا وسلبًا، والانتقال من الإطار العام للقضية موضوع النشاط التعليمي إلى القضايا الجزئية والتفصيلية والتي ستؤثر بصفة مباشرة على مواقفه وقراراته وبناء اختياراته، فينخرط في مناقشة الآراء المختلفة التي يعرضها زملاؤه حول القيمة / ويبحث عن الدليل أو الأدلة المتعلقة بها / ويستحضر سلوكات ومواقف تعززها وتشهد لها / و سلوكات مناقضة لها / يصنف القضايا والإشكالات المتعلقة بها / ويقترح حلًا للإشكالات المطروحة من طرف المدرس أو المتعلمين حول القيمة / ويبدي إعجابًا ببعض المواقف الإيجابية من القيمة / ويميل إلى اختيار من الاختيارات السائدة أثناء التداول والنقاش / ويستحسن فكرة أو أفكارًا تتعلق بالقيمة / يحلل المواقف المتعلقة بالقيمة / يبني خلاصات واستنتاجات مركزة حول القيمة ... كل ذلك يقوم مؤشرًا على أن المتعلم اندمج وتفاعل

من خلال النشاط التعليمي مع القيمة موضوع المدارسة والتحليل والمناقشة، وهو مؤهل وفق ذلك إلى تبني مواقف واختيارات معينة ستظهر بجلاء في المرحلة الموالية.

٤- **الاقتناع:** وهي المرحلة التي تظهر فيها مؤشرات دالة على التوجهات والاختيارات والمواقف والقناعات ويتجلى ذلك من خلال تبني المتعلم لرأي معين بناء على معطيات وحجج / يتخذ موقفًا من سلوك أو ظاهرة معينة مرتبطة بالقيمة / يستشهد ويستدل على رأيه بأدلة عقلية ونقلية / يرجح اختيارا من الاختيارات التي كانت سائدة أثناء النقاش / يعزز اختياره بالحجج المناسبة / يؤيد المواقف الإيجابية من القيمة / يستنكر المواقف السلبية / يرتاح للرأي المساند لاختياراته / يقدر السلوكات الإيجابية المرتبطة بالقيمة ويعارض ما يناقضها / يرد على الرأي والموقف المخالف في إطار الحوار ... كل ذلك يقوم دليلًا على اقتناع المتعلم بالقيمة واستعداه الطبيعي والكافي للانتقال إلى المرحلة الموالية لأنه يمتلك المعارف والأدوات المنهجية الكافية المؤهلة لذلك.

٥- **الدفاع:** قد يكون المتعلم مقتنعًا بالقيمة ولكنه في حاجة إلى أن يوضع في وضعية تعليمية تختبر مدى قدرته على توظيف المعارف والمهارات والأدوات المنهجية التي اكتسبها في المراحل السابقة في الدفاع عن اختياراته وقناعته إذا ما حاول الغير أن يناقشها أو يعارضها، أو عاش حدثًا أو موقفًا يناقضها ويقلل من شأنها، وفي هذه المرحلة ينبغي أن يوضع المتعلم من خلال أنشطة تعليمية في وضعيات إشكالية لاختبار ردود فعله في الدفاع عن القيمة وفي هذه الحال/ يرد المتعلم

على آراء غيره بما يناسب من الحجج / يجادل المخالفين بالحسنى / يذم السلوكات المناقضة للقيمة وينبه إلى سلبياتها وخطورتها على الفرد والمجتمع / يستحضر قضايا ومواقف واقعية تبرز إيجابيات القيمة وآثارها العملية / يحرص على تمثل القيمة عمليًا لما لذلك من آثار إيجابية في تقوية مواقفه واختياراته أمام زملائه / يحترم الرأي الآخر ويمتلك القدرة على إبراز مكامن ضعفه / يتحمس لكل اقتراح عملي يعزز القيمة / يقترح أفكارًا عملية لتعزيز حضور القيمة / يصحح الأفكار الخاطئة حول القيمة ...

كل هذه المؤشرات تعكس حماس وقدرة المتعلم على توظيف معارفه ومهاراته في الدفاع عن القيمة حال وجوده في وضعية مستفزة ومحفزة ومثيرة.

٦- نقل القيمة إلى الآخرين: ويميزها عن غيرها أنها مرحلة المبادرة دون الحاجة إلى مؤثر خارجي أي إلى أن يوضع المتعلم في وضعية إشكالية محفزة ومستفزة ومثيرة كما كان الشأن في مرحلة الدفاع، ولكنه في هذه المرحلة تظهر لديه مؤشرات تتعلق بإحساسه بالمسؤولية تجاه نقل القيمة إلى غيره فيبادر مثلًا إلى تنظيم نشاط يعرف بالقيمة (مسابقة / محاضرة / ندوة / رحلة دراسية ...) / يستغل كل فرصة مناسبة لمحاورة غيره ومناقشته في المفاهيم والسلوكات المرتبطة بها / يبادر إلى الانخراط في كل عمل يعزز حضور القيمة (لجنة ثقافية - رياضية - ناد مدرسي / يعد وينجز وسائل عملية للتعريف بالقيمة (ملصق - مطوية - مجلة - رسم — خط ...) / يسهم ماديًا ومعنويًا في تشجيع كل سلوك إيجابي مرتبط

بالقيمة / يجعل من السلوك السلبي فرصة للتنبيه والتوجيه والتحفيز الإيجابي وليس مناسبة للتعنيف والقسوة / يحس بالرضا حين يرى أثرًا لعمله في نشر القيمة من خلال سلوكات إيجابية / يقدم غيره على نفسه في بعض المواقف تعزيزًا للقيمة...

هذه وغيرها تقوم دليلًا على قدرة المتعلم بعد التدرج في المراقي الستة على نقل القيمة إلى غيره ونشرها في مجتمعه ومحيطه وتلك أغلى وأعلى المقاصد المرجوة من مشروع بناء منظومة القيم لدى المتعلمين برمته. وتجدر الإشارة هنا إلى أن نقل المتعلمين من مرحلة إلى مرحلة لا يمكن أن يتم في نشاط واحد، وإنما يتطلب الأمر صياغة برنامج يتضمن أنشطة متعددة ومتنوعة وممتدة طيلة مدة معينة، وتستهدف قيمًا محددة تكون شعارًا للبرنامج التدريبي، ويخضع لتقويم مرحلي وختامي من أجل التثبيت والتعزيز وإعادة البناء[1].

مراحل التدريب والأنشطة التدريبية المناسبة:

إن منهجية اكتساب أي مفهوم وتحويله إلى قيمة يتم الالتزام بها ثم الإسهام في التوعية بها ونشرها، لا بد وأن يمر بمراحل متعددة ومتدرجة، ولكل مرحلة من هذه المراحل أنشطتها المناسبة، ونعرض فيما يلي أهم هذه المراحل والأنشطة المناسبة لها بشكل مختصر ومُركز تحضيرًا للاشتغال على كيفية إنجازها في الشق التطبيقي من هذا الكتاب.

(١) خالد الصمدي «القيم في المنظومة التربوية»، منشورات منظمة الإيسسكو، (٢٠٠٨ م)، (ص/ ٩١، وما بعدها بتصرف).

أولًا: التدريب على اكتشاف واكتساب المفهوم: وهي المرحلة التي يتمرن فيها المتدربون على معرفة المفهوم وخصائصه، بالإضافة إلى الخريطة المعرفية التي ينتمي إليها والتي تضم المفاهيم الجنيسة والنقيضة على النحو الذي بسطناه في التعريف بمفهوم الاختلاف وقيمه ومهاراته، ويتم ذلك في الغالب الأعم من خلال الاشتغال على نصوص مرجعية، وأمثلة ونماذج تطبيقية من التاريخ والحضارة أو الفكر المعاصر، وكذا أمثلة ونماذج مناقضة إذ بضدها تتميز الأشياء كما يقال.

وسنشتغل في الشق التطبيقي من هذا الكتاب على نصوص مرجعية وأمثلة ونماذج تطبيقية على تدبير الاختلاف من التاريخ والحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي المعاصر من أجل تدريب المتدربين على اكتشاف المفهوم وقيمه ومهاراته. وتشمل هذه النصوص: وثائق تنظيمية لتدبير الاختلاف: ككتاب الرسول ﷺ لأهل يثرب، ووثيقة صلح الحديبية، وكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيليا.

كما تشمل نصوصًا من التراث الإسلامي في آداب وقواعد الجدال والمناظرة، ومن منهجية العلماء المسلمين في تدبير الاختلاف بصفة عامة، و من منهجية العلماء في التعامل الخلاف الفقهي والمذهبي. وتذيل هذه النصوص بجداول ناظمة تساعد المتدربين على استخراج مجالات الاختلاف وقيم ومهارات تدبيره وتصنيفها في مصفوفة ناظمة تشكل في ختام التدريب الخريطة الذهنية المكتسبة حول الاختلاف وتدبيره.

ثانيًا: التدريب على اكتساب منهجية تدبير الاختلاف: إذا تعرف المتدربون على مفهوم الاختلاف وخريطته المعرفية التي تتضمن قيمه ومهاراته، فإنهم بعد ذلك في حاجة إلى التدريب على منهجية تدبير الاختلاف من خلال مواقف عملية تطبيقية متعددة ومتنوعة تتجسد فيها تلكم القيم والمهارات، ثم تقوم وتوجه حتى تنمو وتترسخ، ويمكن أن يتم ذلك من خلال إشراك المتدربين في تنظيم ندوة علمية في موضوع مثير للجدل، ثم ملاحظة المؤشرات الدالة على وجود أو عدم وجود قيم تدبير الاختلاف مثل:

(احترام الرأي الأخر - واحترام حرية التعبير - ونبذ التعصب والتشنج / والإنصاف في القول... وغيرها من القيم) وكذا مستوى تطور مهارات تدبير الاختلاف (كالإنصات / والاستيعاب / وتحديد موطن الخلاف / وحسن استعراض الدليل / والقدرة على النقد البناء...) وغيرها من المهارات.

كما يمكن أن يتم رصد هذه المؤشرات من خلال عرض شريط سمعي بصري ومناقشته، أو تنظيم دردشة افتراضية على شبكة الإنترنت في موضوع محدد في غرفة مغلقة بين أفراد المجموعة المتدربة، أو نشاط كتابي يعتمد أسلوب الكتابة والتعقيبات في موضوع محدد، وغيرها من الأنشطة التدريبية التي يمكن بواسطتها التدرب على اكتساب منهجية تدبير الاختلاف، ومن المعلوم أن اكتساب المنهجية لا يتأتى إلا بتنوع الأنشطة التدريبية وتنوعها مع اعتماد شبكة قارة من المؤشرات لملاحظة مدى تطورها لدى المتدربين من نشاط إلى آخر.

ثالثًا: التدريب على تجاوز صعوبات تدبير الاختلاف: يمكن لأي حوار أو مناظرة أو تعايش ضمن جماعة أن تكتنفه لسبب من الأسباب النفسية والاجتماعية والثقافية صعوبات ينبغي تجاوزها، وهذا من المتممات الأساسية للمرحلة التدريبية السابقة، وفي هذه المرحلة ننمي لدى المتدربين الواقعية في التعامل أثناء تدبير الاختلاف، أي أننا ينبغي أن ننبهه إلى أن أي موقف من مواقف تدبير الاختلاف لا يمكن بالضرورة أن ينتهي إيجابيًا، بل من الطبيعي أن تكون هناك صعوبات ينبغي أن يكون المتدرب مستعدًا لها وقادرًا على تحديدها وصياغة مقترحات عملية تمكن من تجاوزها من أجل البحث عن الحد الأدنى المشترك للتعايش.

وقد ترجع هذه الصعوبات إلى اختلاف القصد والهدف من الحوار بين الفريقين، أو إلى طريقتهما في الحوار، أو إلى المستندات المرجعية (عدم وضوح قواعد ومنهجية إدارة الحوار).

وقد نبه أبو الوليد الباجي في كتابه المنهاج إلى ترتيب الحجاج إلى جملة من هذه الصعوبات وبين طرق تجاوزها ومن ذلك قوله: «ولا يناظر حال الجوع والعطش، ولا في حال الخوف والغضب، ولا في حال يتغير فيها عن طبعه، ولا يتكلم في مجلس تأخذه فيه هيبة ولا بحضرة من يزرى بكلامه، لأن ذلك كله يشغل الخاطر ويقطع المادة، ولا يناظر من لا ينصف من نفسه، ولا من عادته التسفه في الكلام، ولا من عادته التفظيع؛ فإنه لا يستفيد بكلامه فائدة، فإن ظهر له من خصمه شيء من ذلك نهاه عنه بلطف ورفق، فإن اللطف في الأمور أنفع والرفق أنجع، فإن لم ينته عن ذلك أعرض عن كلامه،

ولم يقابله في أفعاله، وإذا بان له الحق أذعن له وانقاد إليه، فإن الغرض بالنظر إصابة الحق»[1].

ويمكن تدريب الفئة المستهدفة على تجاوز هذه الصعوبات المتوقعة في تدبير الاختلاف من خلال دراسة نصوص مرجعية كنص الباجي مثلًا، أو من خلال عرض تجارب عملية ومناقشتها مع التركيز على كيفية تجاوز صعوبات تدبير الاختلاف وليس على مهارات حسن تدبيره، كما يمكن أن يتم التدرب على ذلك من خلال مواقف تطبيقية (مناقشة علمية في موضوع مثير ومشوق للفئة المستهدفة يوعز فيها إلى أحد المتدربين تقمص الشخصية المخالفة غير المنضبطة إلى قيم ومهارات تدبير الاختلاف) مع ملاحظة قدرة المتدربين الآخرين على تجاوز هذه لصعوبات بتأنٍ وصبر وعقلانية. انطلاقًا ممًّا اكتسبوه من معارف نظرية وتدارسوه من تجارب عملية.

رابعًا: التدريب على تقويم القدرة على تدبير الاختلاف:
ينتقل المتدرب في هذه المرحلة من القدرة على اكتساب منهجية تدبير الاختلاف وتجاوز الصعوبات المتوقعة في ذلك، إلى قدرة أعلى وهي التدرب على تقويم مدى حضور قيم ومهارات الاختلاف لدى الآخرين، فهو في هذه الحالة في موقع الراصد المتتبع للمؤشرات الظاهرة القابلة للملاحظة في سلوكات المختلفين، ومن ثم تحديد مستوى وجود هذه القيم والمهارات في مواقفهم وسلوكاتهم لحظة تدبير الاختلاف.

---

(١) أبو الوليد الباجي، «المنهاج في ترتيب الحجاج»، (ص/ ١٠)، تحقيق عبد المجيد التركي، ط دار الغرب الإسلامي، (١٩٨٧ م).

وهذا يقتضي منه أن يكون قد استوعب المراحل السابقة في التدريب استيعابًا تامًا وخاصة ما تعلق منها بمصفوفة القيم والمفاهيم والمؤشرات الدالة عليها والتي تشكل في هذه الحالة شبكة للتقويم. ويمكن التدريب على ذلك من خلال رصد وتتبع هذه المؤشرات في وضعيات دالة (ندوة علمية / مناظرة / حوار تلفزي بين شخصين) يتم اختياره من طرف المدرب وعرضه أمام المتدربين، أو اصطحابهم إليه ميدانيًا إن وجد، أو تنظيمه في بيئة التدريب، مع التركيز المتدرج على مؤشرات بعينها، قبل اعتماد جميع المؤشرات الموجودة في شبكة التقويم.

خامسًا: التدريب على الإسهام في التوعية بأهمية حسن تدبير الاختلاف: وهي مرحلة عليا تستهدف تمرين المتعلمين المكتسبين لقيم ومهارات تدبير الاختلاف إلى اتخاذ مبادرات عملية لنشر هذه القيم والمهارات والتوعية بأهميتها بوسائط التواصل المتاحة، ويتم التدريب في هذه المرحلة بالتركيز على كيفية إبداع وتصميم ونشر مطويات أو ملصقات تختزل بتركيز أهم هذه القيم والمهارات معززة بجداول أو صور أو أرقام أو بيانات أو نصوص مرجعية تشكل حكمًا وقواعد أو غير ذلك من الوسائل المشوقة، منظمة في سيناريو فني ومعرفي متكامل يجمع بين الصورة والألوان والأشكال والمعطيات والمعلومات المركزة والمختصرة.

ويمكن في هذه المرحلة أن نترك المبادرة للمتدربين لإبراز قدراتهم وإبداعاتهم المختلفة في عصر التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، فبإمكانهم أن يبدعوا أشكالًا متعددة تحقق هذا الهدف، ثم يعملون على تصميم خطة عملية للاستفادة من هذه الوسائط المنجزة في مواقف تعليمية وتثقيفية مختلفة.



الجانب التطبيقي

- البطاقات التدريبية -





الأهداف

- يتوقع من المتدرب بعد قراءة المادة النظرية وإنجاز التطبيقات العملية المرتبطة به أن يكون قادرًا:

- على اكتشاف وتحديد مفهوم الاختلاف وقيمه ومهاراته.
- على التقيد بمنهجية تدبير الاختلاف في مواقف مختلفة.
- على تجاوز صعوبات تدبير مجالات الاختلاف.
- على تقويم القدرة على تدبير الاختلاف من خلال مؤشرات محددة.
- على الإسهام في التوعية بأهمية قيم تدبير الاختلاف.

إن ما سقناه في الجزء الأول من هذا الكتاب من تأصيل نظري لمفهوم الاختلاف وقيمه ومهاراته له تجليات تطبيقية في تاريخنا وحضارتنا كما سقناه إجمالًا واختصارًا على وجه الاستدلال، كما أنه إطار نظري قابل للتنزيل في واقعنا المعاصر من خلال برنامج متكامل لتنمية القدرة على تدبير الاختلاف بناء على المنهجية التربوية التي بسطنا الكلام عنها، وذلك بهدف ترسيخ قيمه ومهاراته في وجدان وسلوك المتدربين، انطلاقًا من إنجاز التدريبات الستة الآتية:

- التدريب على اكتشاف واكتساب المفهوم وبناء قيمه ومهاراته في مصفوفة ناظمة.
- التدريب على اكتساب منهجية تدبير الاختلاف.
- التدريب على تجاوز صعوبات تدبير الاختلاف.
- التدريب على تقويم القدرة على تدبير الاختلاف.
- التدريب على الإسهام في التوعية بأهمية حسن تدبير الاختلاف.
- التدريب على كيفية تصميم دورة تدريبية كاملة على مهارات وقيم تدبير الاختلاف.

(ا) البطاقة التدريبية الأولى (النشاط التدريبي الأول)

❖ **محور التدريب:**

اكتشاف واكتساب مفهوم الاختلاف وقيمه ومهاراته من خلال دراسة نصوص من الحضارة الإسلامية. (نصوص تطبيقية)

بقراءتك لهذه الوثائق ستتمكن من تحديد مفهوم الاختلاف وقيم ومهارات وآداب وقواعد تدبيرها وتصنيفها في الجدول الناظم المرفق لكل وثيقة.

١- وثائق تنظيمية لتدبير الاختلاف:

- كتاب الرسول ﷺ لأهل يثرب.
- وثيقة صلح الحديبية.
- كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيليا.

٢- نص من التراث الإسلامي في آداب وقواعد الجدال والمناظرة.

٣- نص من منهجية العلماء المسلمين في تدبير الاختلاف.

٤- نص من منهجية العلماء في تدبير الخلاف الفقهي والمذهبي.

- كتاب الرسول ﷺ لأهل يثرب:

«هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، فحل معهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على رباعتهم، يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعاتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط ...

ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين والمتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليهم جميعهم ولو كان ولد أحدهم لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن، والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس، وأنه من تبعنا من اليهود، فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحد، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم...

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، أو آمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، فمن نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة لا يقبل منه صرف ولا عدل، وأنكم ما اختلفتم فيه من شيء فإن حكمه إلى الله وإلى الرسول، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني

عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ...

وأنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد ﷺ، على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينكم النصح والنصيحة والنصر للمظلوم، وأن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن أمره إلى الله وإلى محمد النبي، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأنهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم بالأسوة فأنهم يصالحونه وإن دعونا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين، إلا من حارب الدين، وعلى كل أناس حصتهم من النفقة، وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن منهم، من أهل هذه الصحيفة وأن بني الشطبة بطن من جفنة، وأن البر دون الإثم، ولا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، لا يحول الكتاب عن ظالم ولا آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة أمن أبر الأمن، إلا ظالمًا وآثمًا، وأن أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن».[1]

«على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينكم النصح والنصيحة والنصر للمظلوم، وأن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن أمره إلى الله وإلى محمد النبي، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب،

(١) «السيرة النبوية لابن هشام»، (٢/ ١٠٦، وما بعدها)، طبعة دار الجيل، (١٩٧٥ م).

وأنهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم بالأسوة فأنهم يصالحونه وإن دعونا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين، إلا من حارب الدين، وعلى كل أناس حصتهم من النفقة...

وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن منهم، من أهل هذه الصحيفة وأن بني الشطبة بطن من جفنة، وأن البر دون الإثم، ولا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، لا يحول الكتاب عن ظالم ولا آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة أمن أبر الأمن، إلا ظالما وآثما، وأن أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن».[1]

العبارات الدالة على الاختلاف	قيم تدبير الاختلاف	عوائق قيم تدبير الاختلاف التي تم التنبيه عليها	مهارات في تدبير الاختلاف

(١) «السيرة النبوية لابن هشام»، (٢/ ١٠٦، وما بعدها)، طبعة دار الجيل، (١٩٧٥ م).

- وثيقة صلح الحديبية:

«باسمك اللهم:

هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا عليه، وضع الحرب على الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض... على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجًا أو معتمرًا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازًا إلى مصر أو الشام يبتغي فضل الله فهو آمن على كمه وماله... على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده إليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال...

وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب، السيوف في القرب ولا تدخلها بغيرها»[1].

العبارات الدالة على الاختلاف	قيم تدبير الاختلاف	عوائق قيم تدبير الاختلاف التي تم التنبيه عليها	مهارات في تدبير الاختلاف

(١) «السيرة النبوية لابن هشام» ج٣، (٣/ ٢٠٣)، طبعة دار الجيل، (١٩٧٥ م)/ص٢٠٣.

- العهدة العمرية لأهل بيت المقدس:



العهدة العمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من
الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم
وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أن لا تسكن كنائسهم
ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء
من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء
معهم أحد من اليهود .. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل
المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت . اللصوص
فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن
أقام منهم فهو آمن . وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .
ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم
وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا
مأمنهم . ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان كذا . فمن شاء
قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم
ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى
ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين
إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

العبارات الدالة على الاختلاف	قيم تدبير الاختلاف	عوائق قيم تدبير الاختلاف التي تم التنبيه عليها	مهارات في تدبير الاختلاف

- نص من منهجية العلماء المسلمين في تدبير الاختلاف:

«ومن هنا ظهر في الإسلام - نتيجة للحرية الفكرية - الحرية العلمية، فوجدنا العلماء يختلفون ويخطئ بعضهم بعضًا ويرد بعضهم على بعض، ولا يجد أحد في ذلك حرجًا، نجد في الكتاب الواحد: المعتزلي والسني، والكشاف لإمام معتزلي وهو الزمخشري نجد أهل السنة ينتفعون به ولا يرون حرجًا في ذلك...

كل ما يمكن أن يأتي رجل من أهل السنة وعلمائهم كابن المنير يعمل حاشية عليه باسم (الانتصاف من الكشاف) أو يأتي إمام كالحافظ ابن حجر العسقلاني فيؤلف كتابه «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف»، وهكذا فكان العلماء ينتفع بعضهم بكتب بعض وبآراء بعض، ورأينا اختلاف الفقهاء وسعة صدورهم في الخلاف بين بعضهم وبعض، هذا كله يدل على حرية الفكر وعلى الحرية العلمية في داخل الأمة الإسلامية.

وحرية القول والنقد أيضًا أقرها الإسلام، بل جعل ما هو أكثر من الحرية إذ جعل القول والنقد، إذا تعلقت به مصلحة الأمة، ومصلحة الأخلاق والآداب العامة - أمرًا واجبًا أن تقول الحق لا تخاف في الله لومة لائم، أن تأمر بالمعروف، وأن تنهى عن المنكر، أن تدعو إلى الخير، أن تقول للمحسن أحسنت، وللمسيء أسأت، هذا ينتقل من حق إلى واجب إذا لم يوجد غيرك يقوم به»[1].

---

(١) د/ يوسف القرضاوي، «فتاوى معاصرة»، (٢/ ٣٣١، ٣٣٢)، (ط. دار المعرفة الدار البيضاء)، (١٩٨٨م).

العبارات الدالة على الاختلاف	قيم تدبير الاختلاف	عوائق قيم تدبير الاختلاف التي تم التنبيه عليها	مهارات في تدبير الاختلاف

- نص من: منهجية العلماء المنصفين في التعامل مع الخلاف الفقهي:

يناقش أبو العباس القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦هـ في كتابه «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» مذاهب المخالفين ويستعرض آراءهم ويوضح أدلتهم إنصافا لهم ثم ينتقد ما يجب انتقاده بقوة الحجة والبرهان، وبأدب العلماء الجم الذي لا تعصب فيه ولا امتنان، استوى في ذلك عنده كل المذاهب الفقهية والكلامية والصوفية واللغوية ممن عرض كلامهم في فهم نصوص الحديث والاستدلال بها، ثم يبني في كثير من الأحيان اختيارات فقهية بناء على ما انقدح في ذهنه من قوة حجة أو دليل عقلًا كان أو نقلًا.

قال أبو العباس: «قوله ﷺ: «إذا جاء أحدكم الجمعة؛ فليغتسل»، وقوله: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» ظاهر في وجوب غسل الجمعة، وبه قال أهل الظاهر، وحُكي عن بعض الصحابة وعن الحسن وحكاه الخطابي عن مالك ومعروف مذهبه وصحيحه أنه سنة، وهو مذهب عامة أهل الفتوى وحملوا تلك الأحاديث

على أنه واجب وجوب السنن المؤكدة ودليلهم على ذلك أمور. **أحدها:** قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غُفر له»، فذكر فيه الوضوء، واقتصر عليه دون الغسل، ورتب الصحة والثواب عليه فدل على أن الوضوء كاف من غير غسل وأن الغسل ليس بواجب.

وثانيها: قوله ﷺ لهم حين وجد منهم الريح الكريهة «لو اغتسلتم ليومكم هذا».

وهذا عرض وتحضيض وإرشاد للنظافة المستحسنة ولا يقال مثل ذلك اللفظ في الواجب.

وثالثها: تقرير عمر والصحابة لعثمان رضي الله عنهم على صلاة الجمعة بالوضوء من غير غسل، ولم يأمروه بالخروج، ولم ينكروا عليه فصار ذلك كالإجماع منهم على أن الغسل ليس بشرط في صحة صلاة الجمعة، ولا واجب.

ورابعها: ما يقطع مادة النزاع ويحسم كل إشكال، حديث الحسن بن سمرة قال، قال رسول الله ﷺ: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل»، وهذا نص في موضع الخلاف، غير أن سماع الحسن بن سمرة مختلف فيه، وقد صح عنه أنه سمع منه حديث العقيقة فيحمل حديثه عنه على السماع، إلا أن يدل دليل على غير ذلك، والله أعلم[1].

---

(١) خالد الصمدي، «مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي»، (٢/ ٥٠١، وما بعدها)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (٢٠٠٦ م).

مجال الاختلاف	العبارات الدالة على الاختلاف	قيم تدبير الاختلاف في النص	قواعد تدبير الاختلاف في النص

- نص نفيس من التراث الإسلامي في آداب الحجاج والمناظرة:

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله:

«ينبغي للمناظر أن يقدم على جدله تقوى الله - عز وجل - ليزكو نظره ويحمد الله عز وجل ويصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم كثيرًا لتكثر بركاته وتعظم فوائده، ثم يسأله المعونة والتوفيق لنفسه على طلب الحق وتوفيقه لإدراكه، ويقصد بنظره طلب الحق والوكالة عليه ليدرك مقصوده ويحوز أجره، ولا يقصد به المباهاة والمفاخرة فيذهب مقصوده ويكتسب إثمه ووزره، ويدخل في النظر على جد واجتهاد ويفرغ له قلبه ويبذل له وسعه لأن ذلك كله يعينه على إدراك ما يقصده.

ويتوقر في مجلسه ولا ينزعج من مكانه فينسب إلى الركة والخرق، ولا يعبث بيده ولحيته فإن ذلك يذهب بالوقار، ولا يكثر الصياح حتى يشق على نفسه لأن ذلك يقطعه وينسب منه إلى الضجر، ولا يخفي صوته جدًا فينسب منه إلى ضعف المنة، وكان بين ذلك قوامًا، ولا يشغف بكلامه ولا يعجب بجداله، فإن ذلك يدعو إلى المقت.

ويقبل على خصمه، فإنه أحسن في الأدب، ويحسن الاستماع إلى كلامه، فإنه ربما بان له في كلامه ما رآه له على فساده فيكون له عونًا على نظره، ولا يسمح في النظر ويثق بقوته وضعف خصمه، فإن ذلك يفضي إلى الضعف والانقطاع، ولا يداخله في نوبته ويصبر له حتى يفرغ من كلامه، فإن المداخلة تذهب بالفائدة وتدعو إلى الوحشة، ويتجنب إظهار العجب من كلام خصمه والتشنيع عليه في جداله، فإن ذلك يفعله الضعفاء ومن لا إنصاف عنده.

ولا يتكلم على ما لم يقع له العلم به من جهته، ولا يتكلم إلا على المقصود من كلامه، ولا يتعرض لما لا يقصده مما جرى في خلاله، فإن الكلام على ما لم يقصده عدول عن الغرض المطلوب، ولا يستدل إلا بدليل قد وقف عليه وخبره وامتحنه قبل ذلك وعرف صحته وسلامته لأنه ربما يستدل بما لم يمعن في تأمله ولا تصحيحه، فيظفر به خصمه ويبين انقطاعه، ويجتهد في الاختصار، فإن الزلل مقرون بالإكثار.

ولا يناظر حال الجوع والعطش، ولا في حال الخوف والغضب، ولا في حال يتغير فيها عن طبعه، ولا يتكلم في مجلس تأخذه فيه هيبة ولا بحضرة من يزرى بكلامه، لأن ذلك كله يشغل الخاطر ويقطع المادة، ولا يناظر من لا ينصف من نفسه، ولا من عادته التسفه في الكلام، ولا من عادته التفظيع، فإنه لا يستفيد بكلامه فائدة، فإن ظهر له من خصمه شيء من ذلك نهاه عنه بلطف ورفق، فإن اللطف في الأمور أنفع والرفق أنجع، فإن لم ينته عن ذلك أعرض عن كلامه، ولم يقابله في أفعاله، وإذا بان له الحق أذعن له وانقاد إليه، فإن الغرض بالنظر إصابة الحق.

ومتى أخذ المناظر نفسه بما وصفناه، وتأدب بما ذكرناه انتفع بجدله، وبورك له في نظره إن شاء الله - عز وجل -»[1].

قواعد الاستعداد للمناظرة	قواعد في التواصل إثناء المناظرة	ظروف المناظرة	صعوبات متوقعة في المناظرة وقواعد تجاوزها

(1) أبو الوليد الباجي، «كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج»، (ص/ ٩، ١٠)، تحقيق عبد المجيد التركي، (ط دار الغرب الإسلامي)، (سنة ١٩٨٧ م).

البطاقة التدريبية الأولى (النشاط التدريبي الثاني) :

- التدرب على بناء مصفوفة قيم ومهارات تدبير الاختلاف انطلاقًا من النصوص السابقة.

انطلاقًا من استيعابك للإطار النظري، ومن خلال الاشتغال على النصوص التطبيقية المنجزة في البطاقة التدريبية الأولى، ستكون قادرًا على تحديد مجالات الاختلاف وقيم ومهارات تدبيره وتعبئتها في الجدول أسفله بأسلوبك الخاص:

مجالات الاختلاف	قيم تدبير الاختلاف	مهارات تدبير الاختلاف

البطاقة التدريبية الثانية (تصميم ندوة علمية أنموذجا):

محور التدريب:

اكتساب منهجية تدبير الاختلاف. (النموذج التطبيقي المنجز)

عنوان الندوة: الإعلام بين الحرية والمسؤولية
التاريخ: ٢٠/ ٤/ ٢٠١١ **المدة الزمنية:** ساعتان. **المكان:** مؤسسة عمربن الخطاب. **المشرف على التدريب:** عبد الله إبراهيم.
أهداف الندوة: (يتم اختيارها من مصفوفة قيم ومهارات تدبير الاختلاف)
على مستوى القيم: • تدريب الطلاب على احترام حق الاختلاف. • تدريب الطلاب على احترام حق إبداء الرأي. **على مستوى المهارات:** • تدريب الطلاب على عرض أفكارهم باختصار وتركيز. • تدريب الطلاب على حسن الاستدلال بالنصوص المرجعية.

عناصر الحوار في الندوة:

- رسالة الإعلام في واقعنا المعاصر.
- أهمية الحرية في الممارسة الإعلامية.
- الضوابط الأخلاقية والقانونية للرسالة الإعلامية.

مهام تسيير الندوة:

- مسير الندوة: أحمد (افتتاح الندوة ٥د).
- المحور الأول: فاطمة (٢٠ د).
- المحور الثاني: سلمان(٢٠ د).
- المحور الثالث: سعيد (٢٠ د).
- المناقشة: (٤٠ د).
- خلاصات الندوة وختامها (١٥د).

مناقشة وتقويم حصيلة التدريب:

- التقويم الذاتي للمتدربين.
- ملاحظات المشرف على التدريب.
- توجيهات لتطوير القيم والمهارات في النشاط التدريبي القادم.

البطاقة التدريبية الثانية (تصميم ندوة علمية أنموذجًا)

محور التدريب: اكتساب منهجية تدبير الاختلاف. (بطاقة التدريب)

عنوان الندوة: ....
التاريخ:....................... **المدة الزمنية:** .... **المكان:** .... **المشرف على التدريب:** ....
أهداف الندوة: (يتم اختيارها من مصفوفة قيم ومهارات تدبير الاختلاف)
على مستوى القيم: • .... • .... **على مستوى المهارات:** • .... • ....

عناصر الحوار في الندوة:

- ....
- ....
- ....

مهام تسيير الندوة:

- مسير الندوة: ....
- المحور الأول: ....
- المحور الثاني: ....
- المحور الثالث: ....
- المناقشة: ....
- خلاصات الندوة وختامها: ....

مناقشة وتقويم حصيلة التدريب:

- التقويم الذاتي للمتدربين.
- ملاحظات المشرف على التدريب.
- توجيهات لتطوير القيم والمهارات في النشاط التدريبي القادم.

البطاقة التدريبية الثالثة (تصميم بطاقة للاستماع إلى حوار تفاعلي عبر شبكة الإنترنت):

محور التدريب: تجاوز صعوبات تدبير الاختلاف
(النموذج التطبيقي المنجز)

موضوع الحوار:
التاريخ: ٢٠١١/٥/٣٠ **المدة الزمنية:** ساعة ونصف **المكان:** قاعة المعلوميات بالمؤسسة **الموقع الإلكتروني:** www/ hiwar.com **المشرف على التدريب:** فاطمة عبد الله
أهداف النشاط :
على مستوى القيم: • التدريب على كيفية التعامل مع التعصب للرأي من غير دليل مقنع. • التدريب على ضبط النفس عند سماع كلام جارح من طرف أحد المتدخلين. **على مستوى المهارات:** • التدرب على الاستماع إلى الآخر وعدم مقاطعة كلامه. • التدرب على استحضار الدليل في الوقت المناسب.

مهام تسيير النشاط ومواقيته:

- مسير حصة الاستماع: سفيان
- مدة الاستماع وتسجيل الصعوبات التي تعترض الحوار (٣٠ د)
- تحديد أهم الصعوبات ومناقشتها (٢٠د)
- اقتراح الحلول لتجاوزها في ضوء قيم ومهارات تدبير الاختلاف (٢٠ د)

مناقشة وتقويم حصيلة التدريب: (٢٠ د)

- التقويم الذاتي للمتدربين.
- ملاحظات المشرف على التدريب.
- توجيهات لتطوير القيم والمهارات في النشاط التدريبي القادم.

البطاقة التدريبية الثالثة (تصميم بطاقة للاستماع إلى حوار تفاعلي عبر شبكة الإنترنت):

محور التدريب: تجاوز صعوبات تدبير الاختلاف (بطاقة التدريب)

موضوع الحوار:
التاريخ:.................. **المدة الزمنية:** .... **المكان:** .... **الموقع الإلكتروني:** .... **المشرف على التدريب:** ....
أهداف النشاط :
على مستوى القيم: • .... • .... **على مستوى المهارات:** • .... • ....

مهام تسيير النشاط ومواقيته:
• .... • .... • ....
مناقشة وتقويم حصيلة التدريب: (٢٠ د)
• التقويم الذاتي للمتدربين. • ملاحظات المشرف على التدريب. • توجيهات لتطوير القيم والمهارات في النشاط التدريبي القادم.

البطاقة التدريبية الرابعة (تصميم بطاقة لمشاهدة شريط سمعي بصري)

محور التدريب: تقويم القدرة على تدبير الاختلاف (النموذج التطبيقي المنجز)

موضوع الشريط: أسباب التخلف في العالم الإسلامي

التاريخ: ٢٠١١/٦/٣٠

المدة الزمنية لإنجاز النشاط: ساعتان.

المكان: قاعة الوسائط السمعية البصرية.

المشرف على التدريب: إبراهيم محسن.

أهداف النشاط :

على مستوى القيم:

- تدريب المتعلمين على استعمال شبكة المؤشرات في تقييم مدى احترام المتحاورين لقيم تدبيرالاختلاف (يعدها المدرب) انظر النموذج المرفق.

على مستوى المهارات:

- تدريب المتعلمين على استعمال شبكة المؤشرات في تقييم مدى إتقان المتحاورين لمهارات تدبير الاختلاف (يعدها المدرب) انظر النموذج المرفق.

مهام تسيير النشاط ومواقيته:

- مشاهدة الشريط: (٦٠ د) مع استعمال شبكة المؤشرات المستهدفة بالتقويم.
- تحديد أهم قيم تدبير الاختلاف ومؤشراتها (١٠ د).
- تحديد أهم مهارات تدبير الاختلاف ومؤشراتها (١٠ د).
- تحديد أهم الصعوبات التي تعوق تدبير الاختلاف ومؤشراتها (١٠ د).

مناقشة وتقويم حصيلة التدريب

- التقويم الذاتي للمتدربين (١٠ د).
- ملاحظات المشرف على التدريب (١٠ د).
- توجيهات لتطوير القيم والمهارات في النشاط التدريبي القادم (١٠ د).

شبكة مؤشرات التقويم المستخدمة في التدريب

مؤشرات القيم	جيد جدًا	جيد	ضعيف
يحترم فرصة الآخر في الكلام			
يعطيه الفرصة لإبداء رأيه بوضوح			
يقبل النقد			
يوافق على الرأي المدعم بالحجة			
يعرض رأيه بأدب			
يتجنب العبارات الجارحة في كلامه			
يتحدث عن الأفكار لا عن الأشخاص			

مؤشرات المهارات	جيد جدًا	جيد	ضعيف
يحدد بدقة عناصر الاختلاف			
يمتلك مادة معرفية مهمة في موضوع الحوار			
يوظف الدليل والحجة في الوقت المناسب			
يستخدم عبارات التلطف في كلامه			
يبدى الاهتمام بكلام الآخر			
لا يرفع صوته أكثر من اللازم عند الكلام			

البطاقة التدريبية الرابعة (تصميم بطاقة لمشاهدة شريط سمعي بصري)

محور التدريب: تقويم القدرة على تدبير الاختلاف (البطاقة التدريبية)

موضوع الشريط:....................
التاريخ: .... **المدة الزمنية لإنجاز النشاط:** .... **المكان:** .... **المشرف على التدريب:** ....
أهداف النشاط :
على مستوى القيم: • .... • .... **على مستوى المهارات:** • .... • ....

مهام تسيير النشاط ومواقيته:

- مشاهدة الشريط: ....
- تحديد أهم قيم تدبير الاختلاف ومؤشراتها: ....
- تحديد أهم مهارات تدبير الاختلاف ومؤشراتها: ....
- تحديد أهم الصعوبات التي تعوق تدبير الاختلاف ومؤشراتها: ....

مناقشة وتقويم حصيلة التدريب

- التقويم الذاتي للمتدربين: ....
- ملاحظات المشرف على التدريب: ....
- توجيهات لتطوير القيم والمهارات في النشاط التدريبي القادم: ....

شبكة مؤشرات التقويم المستخدمة في التدريب

مؤشرات القيم	جيد جدًا	جيد	ضعيف
-			
-			
-			
-			

مؤشرات المهارات	جيد جدًا	جيد	ضعيف
-			
-			
-			
-			

البطاقة التدريبية الخامسة (تصميم ملصق للتوعية)

محور التدريب: إنتاج وسيط للتوعية بأهمية قيم تدبير الاختلاف (قيمة التعارف)

(النموذج التطبيقي المنجز)

شعار الملصق: لتعارفوا

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

فريق الإنجاز:

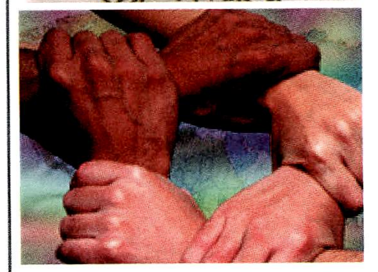
- سامي.
- رائد.
- أميمة.

أتذكر المشترك وأعززه:

- إله واحد: الله رب العالمين.
- أب واحد: آدم عليه السلام.
- وطن واحد: الأرض بما فيها من خيرات.
- هدفنا الدائم: السعي إلى فعل الخير.

أحذر عوامل الفرقة:

- التنازع والخصام.
- العصبية والعرقية.
- سوء الظن.
- السخرية والاستهزاء.



بحرصك على التعارف مع الغير:

- تكسب أصدقاءًا جددًا.
- تتعرف على تجارب وخبرات جديدة.
- تنمي قدراتك على التواصل بلغات أخرى
- تنمي ثقافتك ومعلوماتك عن الحضارات الأخرى.
- تتاح لك الفرصة للتعريف بثقافتك ودينك

البطاقة التدريبية الخامسة (تصميم ملصق للتوعية)

محور التدريب: إنتاج وسيط للتوعية بأهمية قيم تدبير الاختلاف (قيمة..............) .

(البطاقة التدريبية)

شعار الملصق: ....

نص مرجعي مؤطر

فريق الإنجاز:
- ....
- ....
- ....

أتذكر المشترك وأعززه:
- ....
- ....
- ....
- ....

أحذر عوامل الفرقة:
- ....
- ....
- ....
- ....

صور ورسومات داعمة

بحرصك على التعارف مع الغير:
- ....
- ....
- ....

البطاقة التدريبة السادسة (تصميم بطاقة تقنية لدورة تدريبية (بطاقة تدريبية)

محور التدريب: كيفية تصميم دورة تدريبية كاملة على مهارات وقيم تدبير الاختلاف.

تقديم الدورة:

البرنامج الزمني للتدريب

تقديم الدورة:
يبرز موضوع الدورة التدريبية وأهميتها وسياقها المعرفي والتربوي.
الأهداف: المحددة للدورة التدريبية
- معرفيًا. - مهاريًا. - وجدانيًا.
مواصفات الفئة المستهدفة
- المستوى العلمي. - الخبرات السابقة. - التخصص العلمي.

محاور التدريب:
- على مستوى القيم. - على مستوى المهارات.
طرق التدريب والتقويم:
- تحضير قبلي. - عروض نظرية. - ورشات عمل تطبيقية. - موائد مستديرة للمناقشة. - إنجازات فردية للتقويم.
وسائل التدريب:
- وسائل سمعية بصرية. - وسائل معلوماتية. - وثائق ودراسات. - بطائق تدريبية.

البرنامج الزمني للتدريب

اليوم	الحصة الصباحية	الحصة المسائية



خاتمة الكتاب

بهذه البطاقات التدريبية الست يكون دليل تنمية القدرة على تدبير الاختلاف قد استكمل دائرته، بحيث قدمنا للقارئ والمتدرب إطارًا نظريا ركزنا فيه على بناء مفهوم الاختلاف والتعرف على خريطته المفاهيمية التي تشمل قيمه ومهاراته في إطار بناء المفهوم، ثم بسطنا الكلام عن هذه القيم في المرجعية الإسلامية قرآنًا وسنة ومواقف من السيرة النبوية وكذا من التاريخ والحضارة الإسلامية، كما أبرزنا أهم المهارات التي نحتاج إليها في تدبيرنا للاختلاف مؤصلة بدورها في المرجعية الإسلامية وفي الكتابات المعاصرة التي تعنى بالتواصل.

ثم خلصنا إلى بيان المنهجية التربوية المؤطرة للتربية على القيم فتناولنا الدوائر الأربع التي تتحرك فيها القيمة في تطورها لدى المتلقي بحسب تطور قدراته العقلية والإدراكية والجسمية والنفسية وتطور علاقاته الاجتماعية واتساع دائرة اهتماماته الثقافية والحضارية، وبما أن القيم هي قناعات وجدانية يحولها المتلقي إلى سلوكات فقد بسطنا الكلام عن هذه السلوكات وكيفية رصدها وتتبعها بالملاحظة والتقييم باعتبارها مؤشرات خارجية دالة على تطور القيمة، وقسمنا هذه المؤشرات إلى معرفية ومهارية وانفعالية وجدانية، واستثمرنا كل ذلك في بناء مصفوفة مهارات وقيم تدبير الاختلاف ومؤشراتها في خطاطة ناظمة، وإذا كانت القيمة تبنى في نفوس المتلقي بالتدريج فقد بسطنا الكلام عن المراقي الستة التي ينبغي على المدرب أن يعرفها وهو يضع خطة متدرجة للتربية على القيم، كما استخرجنا من كل ذلك خطة للتدريب تتكون من مراحل

متدرجة وحددنا الأنشطة التدريبية المناسبة لكل مرحلة، ثم وضعنا بطائقها التدريبية في الشق التطبيقي وهي:

- بطاقة التدريب على اكتشاف واكتساب المفهوم وبناء قيمه ومهاراته في مصفوفة ناظمة.
- بطاقة التدريب على اكتساب منهجية تدبير الاختلاف.
- بطاقة التدريب على تجاوز صعوبات تدبير الاختلاف.
- التدريب على تقويم القدرة على تدبير الاختلاف.
- بطاقة التدريب على الإسهام في التوعية بأهمية حسن تدبير الاختلاف.
- بطاقة التدريب على كيفية تصميم دورة تدريبية كاملة على مهارات وقيم تدبير الاختلاف.

ونعتقد أن المتدربين إذا استوعبوا الإطار النظري وأغنوه بقراءاتهم الشخصية من خلال المصادر والمراجع المتخصصة التي أشرنا إليها في ختام هذا الكتاب، وأنجزوا الأشغال التطبيقية المرتبطة به بإتقان، سيصبحون قادرين على تدبير الاختلاف بصورة جيدة في المواقف المختلفة، كما سيكتسبون منهجية عامة للتربية على القيم الأخرى المماثلة، والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن قيم الجوزية، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، منشورات مؤسسة الرسالة، الطبعة ١٤، (سنة ١٩٩٠ م).

٢. ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، طبعة دار الفكر، (١٩٨٠ م).

٣. ابن هشام، «السيرة النبوية»، منشورات دار الجيل، (١٩٧٥ م).

٤. أبو الوليد ابن رشد، «مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد»، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، منشورات دار الآفاق الجديدة بالمغرب الطبعة ١، (سنة ١٩٩٢ م).

٥. أبو الوليد الباجي، «كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج»، تحقيق عبد المجيد التركي منشورات دار الغرب الإسلامي الطبعة ٢، (سنة ١٩٨٧ م).

٦. جماعة من المؤلفين، إشراف خالد الصمدي، «مصطلحات تعليمية من التراث الإسلامي»، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية، (٢٠٠٨ م).

٧. جماعة من المؤلفين، «خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات»، تحرير نادية مصطفى وعلا أبو زيد، منشورات دار السلام، الطبعة ٢، (سنة ٢٠٠٧ م).

٨. جمال الدين عطية، «نحو فقه جديد للأقليات»، دار السلام، ط١، (سنة ٢٠٠٣ م).

٩. خالد الصمدي وعبد الرحمن حللي، «أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي»، منشورات دار الفكر، (٢٠٠٧ م).

١٠. خالد الصمدي، «القيم الإسلامية في المناهج الدراسية»، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، (٢٠٠٣ م).

١١. خالد الصمدي، «القيم الإسلامية في المنظومة التربوية»، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، (٢٠٠٨ م).

١٢. خالد الصمدي، «خطاب التربية الإسلامية في عالم متغير تجديد الفلسفة وتحديث الممارسة»، منشورات المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية، (٢٠٠٦ م).

١٣. خالد الصمدي، «مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي»، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، (سنة ٢٠٠٦ م).

١٤. طه جابر العلواني، «أدب الاختلاف في الإسلام»، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (١٩٩١ م).

١٥. طه جابر العلواني، «لا إكراه في الدين»، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومكتبة الشروق الدولية الطبعة ٢، (سنة ٢٠٠٦ م).

١٦. طه عبد الرحمن، «الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري»، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة ١، (سنة ٢٠٠٥ م).

١٧. عباس الجراري، «الحوار من منظور إسلامي»، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، (٢٠٠٠م).

١٨. عباس محجوب، «الحكمة والحوار علاقة تبادلية»، منشورات عالم الكتب الحديث، الطبعة ١، (سنة ٢٠٠٦ م).

١٩. عبد الحميد أبو سليمان، «العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار رؤية إسلامية»، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام، الطبعة ١، (سنة ٢٠٠٢ م).

٢٠. عبد العزيز بن عثمان التويجري، «أفكار للحوار»، منشورات دار الشروق، الطبعة ١، (سنة ٢٠٠٦ م).

٢١. عبد اللطيف الفارابي ومحمد آيت موحى، «القيم والمواقف بيداغوجيا المجال الوجداني»، منشورات سلسلة علوم التربية، الطبعة ٢، (سنة ١٩٩٠ م).

٢٢. عبد اللطيف محمد خليفة، «ارتقاء القيم»، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٦٠، (سنة ١٩٩٢ م).

٢٣. علي الحمادي، «أمسك عليك هذا: مقدمات وعشر قواعد في فنون التعامل مع الآخرين»، منشورات دار ابن حزم، الطبعة ٣، (سنة ٢٠٠٠ م).

٢٤. علي القريشي، «المسلمون والآخر: حوار لا صدام»، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، (٢٠٠٧ م).

٢٥. فاروق حمادة، «العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي»، منشورات دار القلم دمشق، الطبعة ١، (سنة ٢٠٠٥ م).

٢٦. فريتس شتيبات، «الإسلام شريكا: دراسات عن الإسلام والمسلمين»، ترجمة عبد الغفار مكاوي سلسلة عالم المعرفة، عدد ٣٠٢، (سنة ٢٠٠٤ م).

٢٧. محمد أحمد سحلول، «الحضارة الإسلامية قيم وسلوك»، منشورات دار الاعتصام بالقاهرة، (١٩٩٨ م).

٢٨. محمد الناصري، «العلاقات مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية»، منشورات دار الهادي، الطبعة ١، (سنة ٢٠٠٩ م).

٢٩. محمد عبد الفتاح الخطيب، «قيم الإسلام الحضارية»، منشورات كتاب الأمة العدد ١٣٩، (سنة ١٤٣١ هـ).

٣٠. محمد محمود الجمال، «الحرية وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي»، سلسلة كتاب الأمة العدد ١٣٨، (سنة ١٤٣١ هـ).

٣١. مقداد يالجن، «أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون»، منشورات دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الطبعة ١، (سنة ١٩٩٦ م).

٣٢. مقداد يالجن، «التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية»، منشورات دار عالم الكتب للطباعة والنشر، (الطبعة ١)، (سنة ١٩٩٧ م).

٣٣. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، «أدب الاختلاف في الإسلام»، أبحاث ندرة علمية عقدتها بالتعاون مع جامعة الزيتونة، نشرت (سنة ٢٠٠٠ م).

٣٤. المهدي المنجرة، «قيمة القيم»، الطبعة ١، (سنة ٢٠٠٧ م)، (بدون دار نشر).

٣٥. مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ومؤسسة كونراد إدناور، «أعمال الندوة الدولية في موضوع: كيف يدرس الدين اليوم»، مطبعة النجاح الجديدة، (٢٠٠٤ م).

٣٦. ندوة الدراسات الإنمائية، «التربية وبناء الإنسان المعاصر»، دار النهضة العربية بيروت، (٢٠٠٢ م).

٣٧. يوسف القرضاوي، «فتاوى معاصرة»، منشورات دار المعرفة، الطبعة ٤، (سنة ١٩٨٨ م).

فهرست المحتويات

فهرست المحتويات